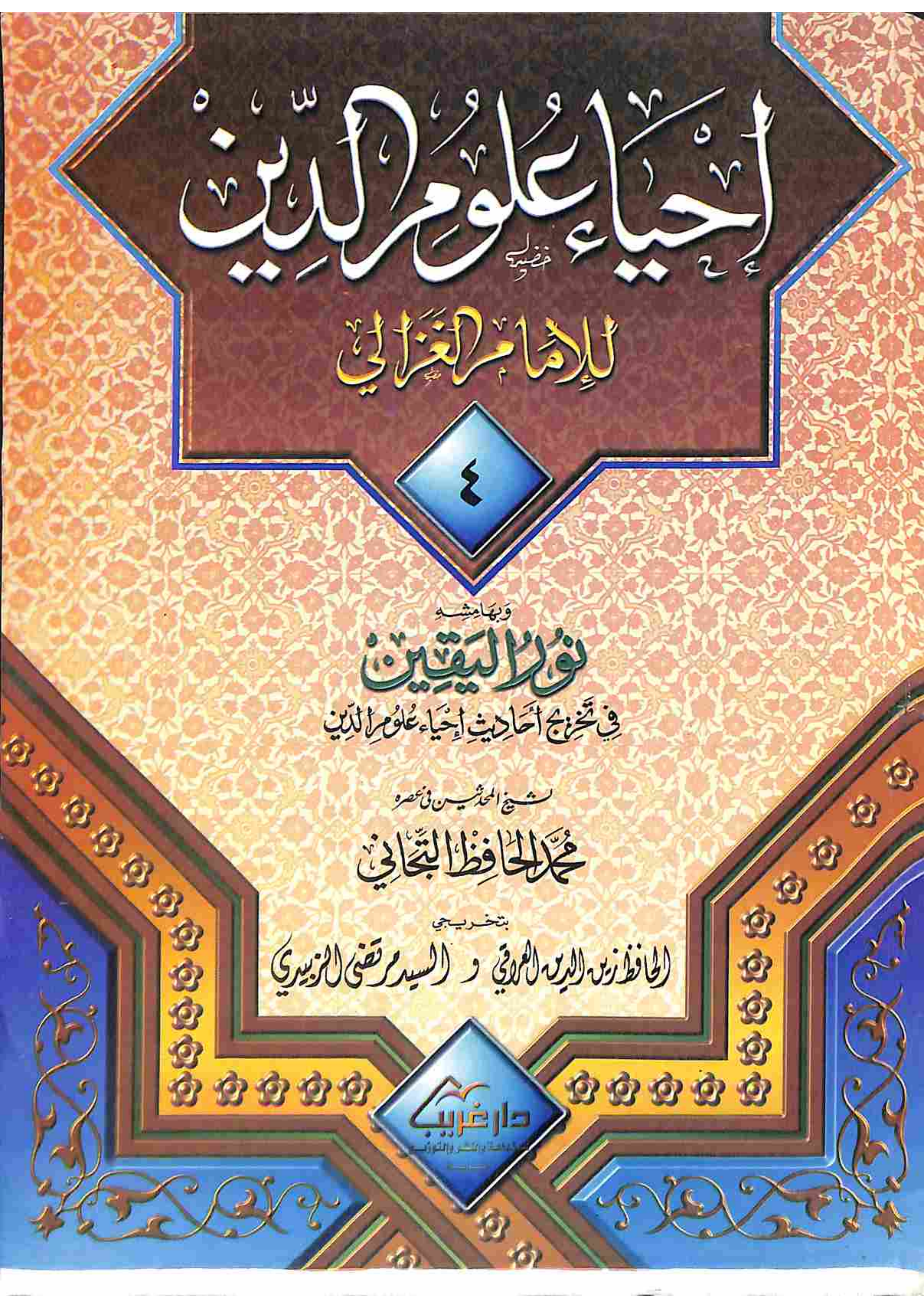
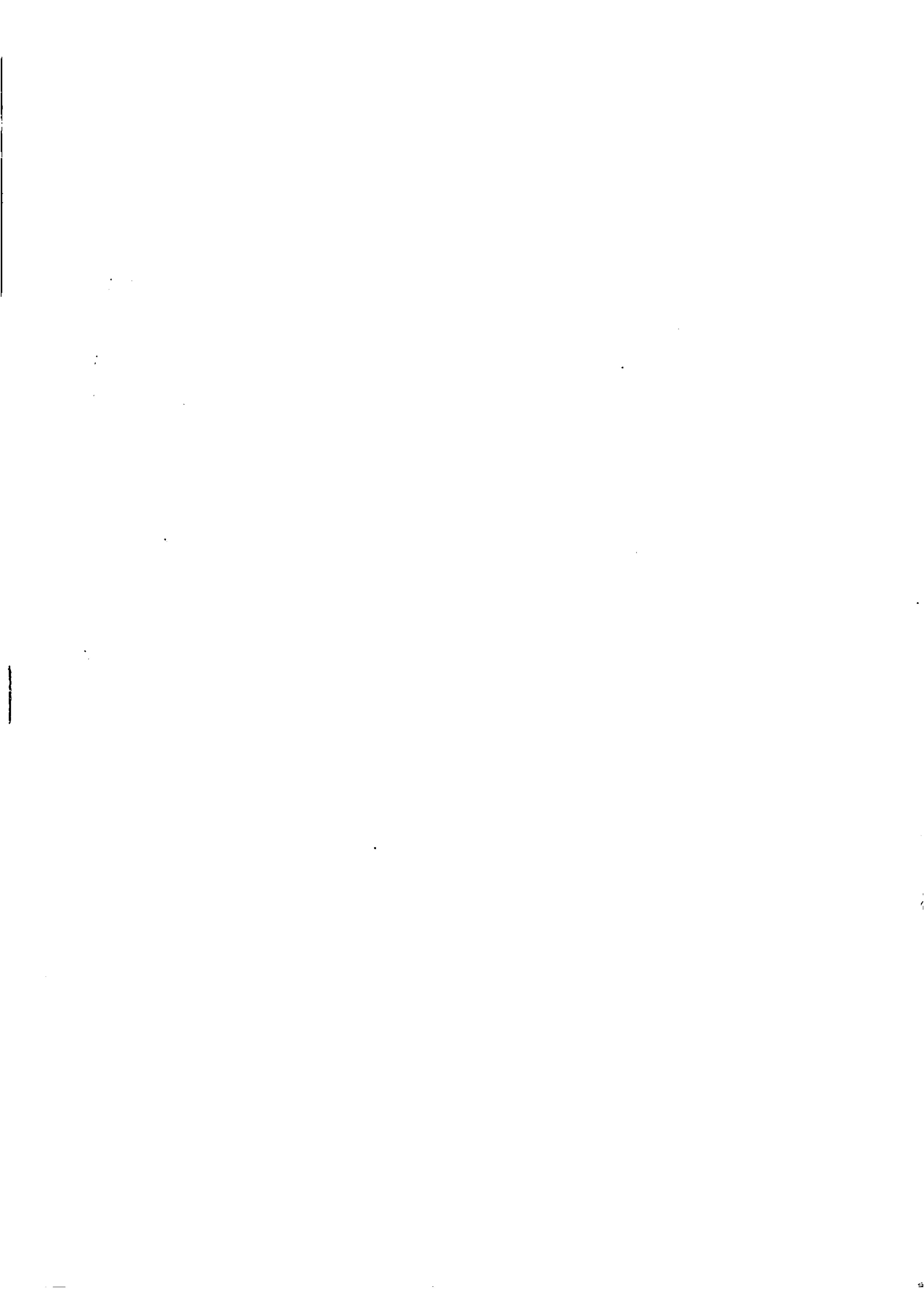

إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٤
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب



قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: ٣٧).

ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهمًا ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة ، فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله. ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه ، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به ، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الكهف: ٦٧: ٦٨) . ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الكهف: ٧٠) ، ثم لم يصبر ولم يزل فى مرادته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما ، وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيًا واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

فإن قلت: فقد قال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٧) فالسؤال مأمور به ، فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم . ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال: أى دع السؤال قبل

= قال العراقى: روى من طريق هشام بن بشير وأزهر بن سعد السمان عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر، قال ابن طاهر فى الكشف عن أخبار الشهاب: وهو منكر من حديث ابن عون، قال: والحمل فيه على من قبل هشام فإنهم إلى الجهالة أقرب. ا هـ. وقال السيوطى: قد أورد الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن السنى: حدثنا الحسين بن عبد الله القطان عن عامر بن سيار عن أبى الصباح عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن النبى ﷺ « من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابى، ولا خير فى التملق والتواضع إلا ما كان فى الله أو طلب العلم» اهـ.

أوانه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، وما لم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه .

وقد قال على ﷺ : إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفش له سرًا ، ولا تغتابن أحدًا عنده، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قَبِلْتَ معذرته ، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

الوظيفة الرابعة : أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة ؛ فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المَرْضيّة عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد، وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها، فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومَن هذا حالة يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ، ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء ، وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقًا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقًا . إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال، فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام، وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر، والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ،ولا يدرى المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته، والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ، ولمثل هذا

«جُوِّز للنبى ﷺ ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة » (١٣٢) إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل ، بل يتعدى ما بينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح مَن قاس الملائكة بالحدّادين.

الوظيفة الخامسة : ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فإن الناس أعداء ما جهلوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الأحقاف: ١١) قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مــــرٍّ مــــريض   يجــــد مـــرًا به المــــاء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعًا من الإعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

الوظيفة السادسة : ألا يخوض فى فنّ من فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبًا فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال الذى هو أشرف

---

(١٣٢) حديث: « جوّز للنبى ﷺ ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة ».

قال العراقى: وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « كان عند النبى ﷺ تسع نسوة، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة » ورواه النسائى كذلك كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: وأخرج البخارى والنسائى من رواية سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس: أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة. وفى رواية لهما من رواية هشام الدستوائى عن قتادة: كان يدور على نسائه فى الساعة الواحد فى الليل والنهار وهن إحدى عشر، قلت لأنس: أكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين.

العلوم و هو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ؛ فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى، ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفًا ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم، بل ذلك نور يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة ، « **إيمان أبى بكر رضي الله عنه الذى لو وزن بإيمان العالمين لرجح**»(١٣٣) كما شهد له به سيد البشر ﷺ ، فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامي إلا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلامًا، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعليّ وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره، والعجب

---

(١٣٣) حديث: « إيمان أبى بكر لو وزن إيمانه بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ ».

قال العراقى: لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح، أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفًا على عمر بإسناد صحيح. ا هـ.

قال مرتضى: الذى رواه البيهقى فى الشعب من قول عمر لفظه: « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبى بكر» وهكذا هو فى مسند إسحق بن راهويه، قال الحافظ السخاوى: وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل، قلت: وهو الأودى الكوفى ثقة مخضرم من رجال البخارى والأربعة اهـ. قال: وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومعاذ بن المثنى فى زيادات مسند مسدد اهـ. ورأيت فى ذخيرة الحناط لابن طاهر المقدسى الذى رتب فيه الكامل لابن عدي وهو بخط المصنف ما نصه « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح » رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر، وعبد الله لم يتابع عليه، وهذا الذى أشار له العراقى أنه بإسناد ضعيف ولكن ليس فيه: بإيمان العالمين، وكذا أخرجه ابن عدى فى ترجمة عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلانى عن رواد بن الجراح عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع، وعيسى ضعيف الحديث ولفظه « لو وضع إيمان أبى بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها »، وقد رواه الديلمى أيضًا فى مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ، وقول السخاوى: إن عيسى وإن كان ضعيفًا لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدى من طريق آخر اهـ. كأنه يشير إلى طريق عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد فربما يفهم من سياق هذا أنه طريق صحيح وليس كذلك، فإن عبد الله لم يتابع عليه كما تقدم، فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل، قال الحافظ السخاوى: وله شاهد فى السنن أيضًا عن أبى بكرة مرفوعًا: « أن رجلا قال: يا رسول الله، رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقى فرجح. . . » الحديث.

ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه علي وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا ، فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصًا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب ، وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات الشرفية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم ، وقد روى أنه رُئى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها: إن أحسنت كل شىء فلاتظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى ، وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء. وفى يد الآخر: كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب .

الوظيفة السابعة : ألا يخوض فى فنّ حتى يستوفي الفنّ الذى قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا ، وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة: ١٢١). أى لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملا، وليكن قصده فى كل علم يتحراه التراقى إلى ما هو فوقه ، فينبغى ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل؛ فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذا الشبه فى كتاب معيار العلم ، وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال علىّ رضي الله عنه : « لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله » .

الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما شرف الثمرة، والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ، ومثل علم

الحساب وعلم النجوم ، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف ، وإن كان أكثره بالتخمين ، وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ؛ فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفى المآل القرب من الله سبحانه ، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده ، وهو علم الآخرة ، ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله : فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذى يسقيهم الماء ، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء .

قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) .

وقال تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١٦٣) .

والفضيلة نسبية ، واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ، فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء، ثم العلماء الراسخين فى العلم ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم ، وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى بالعلم، أىّ علم كان ، نفعه ورفعه لا محالة .

الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيًا إلى المقصد، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون .

والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم - أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين - على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو : أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج ، وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعًا ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط ، دون سعادة الملك ، فله ثلاثة أصناف من الشغل :

الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة .

والثانى: السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل .

والثالث : الاشتغال بأعمال الحج ركنًا بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة، وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادى إلى آخره، ومن أول أركان الحج إلى آخره ، وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك ، بل هو أقرب منه .

فالعلوم أيضًا ثلاثة أقسام :

قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا .

وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات، وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنه الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله ، وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن .

وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه فى تراجم علم المكاشفة ، وها هنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة ، وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعَّمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم ، وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة: ٨٨ - ٩١) .

وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له، أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (الواقعة: ٩٣ ، ٩٤) .

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين، أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار، وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبرَ فصدَّق ، ثم شاهد فحقق ، وحال غيرهم حال من قَبِلَ بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان ، فالسعادة وراء علم المكاشفة ،وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة ، وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات ، وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ، ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على

منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه ، وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ، ومن قال: العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان ، وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة ، لا العلوم العزيزة الباطنة؛ (فإن قلت) لم شبّهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة ، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به ، بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية ، وإنما هو أمر إلهى كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء: ٨٥) .

وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن ، فلله الخلق والأمر جميعًا ، والأمر أعلى من الخلق ، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السماوات والأرضين والجبال : ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ (الأحزاب: ٧٢) من عالم الأمر ، ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول ، فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده ، والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها ، وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج ، كالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر إليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك ؛ فإنه قد يحتاج إليه فى حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه ، والفقه يفارقه فى أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ، إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ ، وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس

وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية ، فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها، وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج ، أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانًا ممن قام عليه ذلك غالبًا ، ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق - العامة والخاصة - فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة ، فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للإنسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الأموال : لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبًا، وحال ادّخار لما اكتسبه فيكون به غنيًا عن السؤال، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعًا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيًا متفضلا وهو أشرف أحواله ، فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال؛ فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المتحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال ، فمن علم وعمل وعلّم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماوات، فإنه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب، والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق ، كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدَتْ   تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا فليحفظ آدابه ووظائفه :

الوظيفة الأولى : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه .

قال رسول الله ﷺ : «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**» (١٣٤) بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ؛ فإن الوالد سبب الوجود الحاضر ، والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة، أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه ، وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل

---

(١٣٤) حديث: « إنما أنا لكم مثل الوالد » **قال العراقي**: أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ. **قال مرتضي**: ونص أبي داود في سننه في باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة: « حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه». « وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة. قال الحافظ المنذري في مختصره: وأخرجه أيضًا مسلم مختصراً والنسائي وابن ماجة تامًا. ا هـ. قلت: قال السيوطي في جامعه: أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان أي كلهم في الطهارة عن أبي هريرة، قال المناوي: وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام. ا هـ. قلت: وفي ترتيب الكامل لابن عدي للحافظ أبي طاهر المقدسي: رواه معدان بن عيسى عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة، ومعدان هذا قال ابن عدي: لا أعرفه حدّث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكبار، حدثنا عنه أبو عيسى الدارمي محمد بن غسان بن خالد ولا أعلم حدث عنه غيره، وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال: حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى لأنه لم يلحق أيامه فقال: معدان بن عيسى. ا هـ. قال المناوي في شرح هذا الحديث: إنما أنا لكم، أي لأجلكم بمنزلة الوالد في الشفقة والحنو لا في الرتبة والعلو فعليّ تعليم ما لابد منه فكما يعلم ولده الأب فأنا أعلمكم ما لكم وما عليكم، وقدم هذا أمام المقصود إعلامًا بأنه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم كما يلزم الوالد، وإيناسًا للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ.

الواحد التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ؛ فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحابّ فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ، ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم.

والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧) .

الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرًا، ولا يقصد به جزاء ولا شكرًا بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلبًا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم ، وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذّبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (هود: ٢٩) .

فإن المال وما فى الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادمًا والخادم مخدومًا ، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم ، وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم، فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ، فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتُركوا ولم

يختلف إليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهاراً له فى حاجاته ومسخراً بين يديه فى أوطاره ، فإن قصَّر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لا يستحيى من أن يقول: غرضى من التدريس نشر العلم تقربًا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

الوظيفة الثالثة : ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى ما يمكن، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده ، فإن علم من باطنه ألا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه ؛ فإن كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التى قيل فيها: « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تلعمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعًا فى الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره، إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة، وذلك يوشك أن يؤدى إلى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره، ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق أيضًا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديًا فى الضلال وطلبًا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته، أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة، فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد ، والله المستعان. وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزينًا ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : صرنا متجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جُعلَ قاضيًا أو عاملا أو قهرمانًا .

الوظيفة الرابعة : وهى من دقائق صناعة التعليم : أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار ، إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم : « **لو منع الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء** » (١٣٥) وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وما نهينا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سمرًا ، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة، ولأن التعريض أيضًا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته .

الوظيفة الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى ألا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول: ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن.

---

(١٣٥) حديث: « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء » ونص الذريعة « لو نهى الناس » والباقى سواء.

قال العراقى: لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف، رواه ابن شاهين . ا هـ.

قال مرتضى: ووجدت بخط الداودى ما نصه: ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشوك لقالوا فيه الند » وفى المعنى حديث أبى جحيفة: « لو نهيتم أن تأتوا الحجون لأتيتموها » الحديث اهـ. قلت: وللسيوطى فى الجامع الكبير: « لو نهيت رجالا أن يأتوا الحجون لأتوها وما لهم بها حاجة » أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن خرب. ا هـ. قلت: رواه الطبرانى من رواية أبى إسحق عن أبى جحيفة قال: كان رسول الله ﷺ قاعدًا ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئا يكرهونه من كلامهم ولغطا، فقيل: يا رسول الله ألا تنهاهم، فقال: « لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة ».

قال العراقى: ورجاله ثقات إلا أنه اختلف فيه على الأعمش، فقيل عنه عن أبى إسحق هكذا، وقيل عن أبى إسحق وعن عبد السوائى ورواه الطبرانى أيضًا وعبدة السوائى مختلف فى صحبته.

فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره، وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله، اقتداء فى ذلك بسيد البشر ﷺ ، حيث قال: « **نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم** » (١٣٦) فليبث إليه الحقيقة إذا

---

(١٣٦) حديث: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم » **قال العراقى**: رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه، وعند أبى داود من حديث عائشة: «أنزلوا الناس منازلهم». اهـ. فهما حديثان مستقلان أوردهما المصنف فى سياق واحد وربما يوهم أنهما حديث واحد، قال الحافظ السخاوى فى كتابه الجواهر والدرر فى مناقب شيخه الحافظ ابن حجر بعد أن ساق لفظ المصنف ما لفظه: ما وقفت عليه بهذا اللفظ فى حديث واحد بل الشق الأول فى حديث عائشة كما سيأتى بيانه، والثانى رويناه فى الجزء الثانى من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعًا: « أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم» اهـ. أما حديث عائشة ففى الحلية لأبى نعيم من طريق ابن هشام الرفاعى، وفى جزء لأبى سعد الكنجرودى من طريق إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا - واللفظ لابن الشهيد - نا يحيى بن يمان عن الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة ﵂ فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيبة فأقعدته معها، فقيل لها: لم فعلت ذلك ؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. قال الحافظ السخاوى: هذا حديث حسن أورده مسلم فى مقدمة صحيحة بلا إسناد حيث قال: ويذكر عن عائشة. . إلخ، فقال النووى نقلا عن ابن الصلاح ما معناه: إن ذلك لا يقتضى الحكم له بالصحة نظرًا لعدم الجزم فى إيراده ويقتضيه نظرًا لاحتجاجه بروايته لإيراده إيراد الأصول والشواهد اهـ. قال السخاوى: لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه فى النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث له، فقال: صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد، وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه فى كتاب السياسة من صحيحه، وكذا أخرجه البزار فى مسنده كلاهما عن إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد وأخرجه أبو داود فى الأدب من سننه عن على بن إسماعيل وابن أبى خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به، ثم قال أبو داود: وميمون لم يدرك عائشة، وأخرجه أبو أحمد العسكرى فى كتاب الأمثال له، عن عبد الوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن محمد بن يزيد الرفاعى هو أبو هشام ورواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هشام، ورواه البيهقى فى الأدب من طريق أبى =

علم أنه يستقل بفهمها، وقال ﷺ : « ما أحد يحدِّث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم ». وقال على ﷺ وأشار إلى صدره : إن ههنا لعلومًا جمة لو وجدت لها حملة، وصدق ﷺ فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام : « لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير » فإن الحكمة خير من الجوهر، ومن كرهها فهو شر من الخنازير، ولذلك قيل : «كلْ لكل عبد بمعيار عقله ، وزنْ له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار »، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب؛ فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : « من كتم علمًا نافعًا جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» (١٣٧) ؟ فقال: اترك اللجام واذهب ، فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ (النساء: ٥).

= هريرة محمد بن أيوب الجبلى عن يحيى بن يمان بالمتن فقط، **قال مرتضى**: ومن طريق أبى هريرة هذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية بسياق يأتى للمصنف نظيره فى أثناء الكتاب يذكر هناك إن شاء الله تعالى، وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث: ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفا، قال السخاوى ويشير إلى ما رواه أبو أسامة بن زيد عن عمر بن مخراق عن عائشة، لكن قد أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق والجامع كلاهما له، والبيهقى فى الشعب والطبرانى كلهم من طريق أحمد بن راشد البجلى الكوفى والبيهقى والطبرانى أيضًا من طريق محمد بن عمار الموصلى والبيهقى وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحيى بن يمان عن الثورى عن أسامة مرفوعا. وقال الإمام أحمد إن رواية عمر عن عائشة مرسلة، وكذا قال البيهقى فى الشعب، وقال السخاوى: عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة، وقال البيهقى فى الأدب: وكان يحيى رواه على الوجهين جميعًا، قال السخاوى: وفى الباب عن معاذ وجابر ﷺ، فأما الأول فرواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ﷺ رفعه « أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة » ولا يصح إسناده، وأما الثانى فرويناه فى جزء الفسوى بسند ضعيف ولفظه « جالسوا الناس على قدر أحسابهم، وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس على قدر منازلهم، وداروا الناس بعقولكم » وفى مسند الفردوس من حديث جابر: « أنزلوا الناس على قدر مروءاتهم ».

(١٣٧) حديث: « من كتم علمًا نافعًا جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » **قال العراقى**: أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد فلفظه عند السيوطى فى الجامع الكبير: « من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» وأما حديث أبى هريرة =

تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق .

أأنثر درًا بين سارحة النعم ... فأصبح مخزونًا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره ... فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدًا واستفدت مودة ... وإلاّ فمخزون لدىّ ومكتتم
فمن منح الجهال علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقًا وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله، وأشدّهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله ، وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده، بل ينبغى أن يخلى وحرفته، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانًا مريدًا يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها، ويملأ قلوبهم

= الذى تقدم فلفظه: « من عَلِمَ علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه، وقال الترمذى: حديث حسن، وقد تقدم الكلام عليه فى أول الكتاب وقد أخرجه أيضا ابن النجار فى تاريخه عن عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ والإسناد مصريون، وفى الباب عن جابر وابن مسعود وابن عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم فى أول الكتاب عند ذكر حديث أبى هريرة فليراجع، وفى لفظ ابن مسعود: « من كتم علما عن أهله » وتنكير علم فى حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعى، وفى رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعى والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أو كمال، والحديث نص فى تحريم الكتم، وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه.

من الرهبة والرغبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ، ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك ، وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص .

الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئًا وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سم مهلك؛ سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟! ومتى استوى الظل والعود أعوج ، ولذلك قيل فى المعنى :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٤) .

ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولذلك قال على ﷺ : قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك. فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه، والله أعلم .

* * *

الباب السادس

فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنهم أشدّ الخلق عذابًا يوم القيـامة، فمن المهمات العظيمة معرفـة العلامات الفارقة بين علماء الدنـيا وعلماء الآخـرة ، ونعنى بعلماء الدنيا علمـاء السوء الذين قـصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها .

قال ﷺ : « إن أشد الناس عـذابًا يوم القيامة عالم لم ينفـعه الله بعلمه » وعنه ﷺ أنه قال: « **لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملا** » (١٣٨) ، وقال ﷺ : «**العلم علمان علم على اللسـان فذلك حـجة الله تعالى عـلى خلقه ، وعلم فى القلب فـذلك العلم النافع**» (١٣٩) ،

(١٣٨) حديث: « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا » **قال العراقى فى التخريج الكبير**: لم أجده مرفوعًا، ورواه ابن حـبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهـقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء بزيادة فى أوله: « إنك لن تكون عالمـًا حتى تكون متعلمًا، ولن تكون عـالمًا حتى تكون لما علمت عاملا » اللفظ للبيهقىَ وفيه انقطاع . ا هـ.

قال مـرتضى: وأخرج الخطيب فى كتاب الاقتـضاء من رواية هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمـر بن عبد العزيز قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالمًا حـتى تكون متعلمًا، ولا تكون بالعلم عالمًا حـتى تكون به عاملا » وأما ما عـزاه العراقى لابن حبان والبيهـقى فقد أخرجه الخطيب فى الكتاب المذكور من رواية وكـيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن أبى الدرداء.

(١٣٩) حديث: « العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم، وعلم فى القلب فذلـك العلم النافع » أورده صاحب القـوت فى خلال كلامـه فقال: روينـا عن الحسن البصـرى يروى عن رسول الـله ﷺ قال: « العلم علمـان: فعلم باطن فى القلـب فذاك هو النافع، وعلم ظاهر على اللسان فـذلك حجة الله على خلقـه ». ا هـ. وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من رواية قتـادة عن أنس رفعه: « العلم علمان: فعلم ثابت فى القلب فذلك العلم النافع، وعلم فى الـلسان فذلك حجة الله على عـباده »، وفـى إسناده=

وقال ﷺ : « **يكون فى آخر الزمان عبَّاد جهال وعلماء فساق** » (١٤٠) .

وقال ﷺ : « **لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار** » (١٤١) .

= أبو الصلت الهروى اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطنى بالوضع، وبنحو هذا أخرجه الخطيب فى تاريخه بإسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه وأعله ابن الجوزى برواية الحسن بن يحيى بن اليمان، قال أحمد: ليس بحجة، ولكن قال العراقى فى تخريجه: احتج به مسلم وقال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن المدينى: صدوق.

قال العراقى: وقد جاء من حديث الحسن مرسلا دون ذكر جابر بإسناد صحيح، رواه الحكيم الترمذى فى النوادر وابن عبد البر فى العلم من رواية هشام عن الحسن عن النبى ﷺ .

قال مرتضى: وكذلك ابن أبى شيبة فى المصنف، قال: وفى الباب عن علىّ وعائشة رضي الله عنهما .

(١٤٠) حديث: « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق » هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس رفعه، ثم قال: هذا حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة. ا هـ. وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم فى الرقاق من المستدرك وابن عدى فى الكامل ولفظهما « وعلماء فسقة » وابن النجار فى تاريخه، كما فى الكبير للسيوطى ولفظه « وقراء فسقة » وقال الحاكم: صحيح، وشنع عليه الذهبى والعراقى، قال الأول يوسف بن عطية الصفار هالك وقال الثانى مجمع على ضعفه، وفى الميزان عن البخارى: منكر الحديث وساق له هذا الخبر ، وفى الديوان قال أبو زرعة والدارقطنى: ضعيف، ورواه البيهقى فى الشعب من هذا الوجه ، وقال: يوسف كثير المناكير، ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه « يكون فى آخر الزمان ديوان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهم الأنتنون » وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة رفعه إلا أنه قال: «ذئبان القراء» بدل «ديوان» وقال: غريب من حديث سليمان أفادناه الدارقطنى الحافظ، ونقل القرطبى عن مكحول : « يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار» وأخرج الخطيب عن أبى هريرة : «يكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة، فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفًا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطيًا » .

(١٤١) حديث : « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار»، أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن حذيفة رضي الله عنه رفعه ولفظه : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا . . . » والباقى سواء ، **قال العراقى** : وبشير بن ميمون الخراسانى متهم بالوضع ، قاله البخارى، وأشعث بن سوار مختلف فيه ولكن أخرج ابن ماجه أيضًا من=

= رواية ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر رفعه: « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجترئوا به فى المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار » **قال العراقى** : وإسناده على شرط مسلم . **قال مرتضى** : وأخرجه كذلك الحاكم وابن حبان والضياء المقدسى فى المختارة وبه يتقوى حديث حذيفة السابق ، **قال العراقى** : وفى الباب عن عبد الله بن عمر وكعب بن مالك وأبى هريرة ومعاذ وأنس وأم سلمة ﷺ فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبى كرب الأزدى عن نافع عنه رفعه « من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو فى النار» ، وأبو كرب مجهول، وروى الترمذى من حديث خالد بن دريك عن ابن عمر رفعه: « من تعلم علمًا لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار » وإسناده جيد ، وأما حديث كعب بن مالك فرواه الترمذى من رواية إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال : حدثنى ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه : « من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » ، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسحق بن يحيى تُكلم فيه من قبل حفظه . قلت: وأخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى من هذا الطريق ولفظهما : « من طلب العلم لإحدى ثلاث: ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » . وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن ماجه أيضًا من رواية عباد بن سعيد المقبرى عن جده عنه رفعه : «من تعلم العلم ليباهى به العلماء ويبارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم» ، وعباد بن سعيد المقبرى ضعيف قاله العراقى ، وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عنه رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويبارى به السفهاء فى المجالس لم يرح رائحة الجنة » ، وشهر بن حوشب مختلف فيه، وأما حديث أنس فرواه أبو بكر البزار والطبرانى فى الأوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبد الله، حدثنا سفيان أبو معاوية عن قتادة عن أنس رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو فى النار» قال البزار : لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به سليمان ولم يتابع عليه ورواه عنه غير واحد، **قاله العراقى**: ثم قص مرتضى على العراقى وأخرجه أيضًا ابن عساكر فى تاريخه وأبو نعيم فى المعرفة من هذا الطريق إلا أنهما قالا: « ليمارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار » ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى الوحدان والدارقطنى فى الإفراد والديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم : « من تعلم العلم» والباقى سواء ، وأخرج ابن عساكر أيضًا من رواية نافع بن مالك أبى سهل عم مالك ابن أنس قال : قلت للزهرى: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال : « من طلب شيئًا من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ليطلب به شيئًا من عرض الدنيا دخل النار» ؟ فقال الزهرى : لا ، ما بلغنى. فساقه وفيه قصة تقدمت فى خاتمة الفصول .

قال العراقى : وأما حديث أم سلمة فرواه الطبرانى من رواية عبد الخالق بن زيد عن أبيه عن محمد بن عبد الملك بن مروان عن أبيه عنها رفعته : « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به =

وقال ﷺ : « من كتم علمًا عنده ألجمه الله بلجام من نار » (١٤٢).

وقال ﷺ : « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال »، فقيل:وما ذلك؟ فقال: «من الأئمة المضلين» (١٤٣).

= السفهاء فهـو فى النار » وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البـخارى ، وعبد الملك بن مروان أورده الذهبى فى الميزان وقال : أنّى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل.

قـال مـرتضى : عبـد الخالق المذكور قـال الذهبى فى الديوان : قال النسائى: ليس بثـقة وقوله: أنى له العـدالة . . . إلخ صحيح ، ولكن قد يـقال: يحتمل أنه تحـمل هذا الحديث فى حال استقامته قبل أن تصدر منه الأفـاعيل ، وهكذا أخرجه تمام الرازى فى فوائده أيضًا ، وأخرج ابن النجـار فى تاريخـه عن أم سلمة « من طـلب علمًا ليبـاهى به العلمـاء فهـو فى النار » وأخرجه ابن عساكر أيضًا ، ولكن عنده : « من طلب علمًا يباهى به الناس » والباقى سواء، وأخرجه الدارمى فى مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه : « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » .

(١٤٢) حديث : وقـال ﷺ : « من كتم علمًا عنده ألجم بلجام من نار » تقـدم وهو حديث رقم ١٣٧ .

(١٤٣) حديث : « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » ، فقيل: وما ذاك ؟ فقال : «من الأئمة المضلين» وفـى نسخة : «فقال: أئمـة مضلون » أخرجه الإمام أحـمد من رواية أبى تميم الجيشـان واسمه عبد الله بن مـالك قال : سمعت أبا ذر يقول: كنت مـحاضر النبى ﷺ إلى منزله فسـمعته يقـول : « غير الدجال أخـوف على أمتى من الدجال » ، فلما خـشيت أن يدخل قلت : يا رسول الله أى شئ أخوف على أمتك من الدجال ؟ قال : « الأئمة المضلون » .

قـال العـراقى : فى إسناده عبد الله بن لهيعة مـختلف فيه ، ورواه أبو يعلى من رواية جابر عن عبد الله بن يحيى عن على بن أبى طالب رفعه : « غير الدجال أخوف عليكم: أئمة مضلون» وجابر هو أبو يزيد الجعفى ضعفه الجمـهور، وروى أحمد من طريق أبى المخارق زهير بن سالم عن عمـير بن سعد الأنصـارى أن عمر قـال لكعب : « ما أخوف شىء تخـوفه على أمة محـمد ﷺ ، قال: أئمة مضلون، قال عمر : صدقت، قد أسر إلىّ ذلك وأعلمنيه رسول الله ﷺ . وأبو المخارق ذكره ابن حبـان فى الثقات وعمير بن سعد مـعدود فى الصحابة والظاهر أنه منقطع بينه وبين أبى المخارق ، وأخـرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبيـر بن نفير عن النواس بن سمعـان فى حديثه الطويل فى الدجـال وفيه : فقـال: « غير الدجال أخـوفنى عليكم » وأخرج الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رفـعه : « إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون » ، قال الهيتمى: فيه راويان لم يسميا ، وأخرج العلائى بسنده إلى ابن عمر : قيل له: ما يهـدم الإسلام ؟ قال : زلة عالم وجـدال منافق وحكم الأئمة المضلين. وأخـرج أبو نعيم فى=

وقال ﷺ : « من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدًا » (١٤٤).

وقال عيسى عليه السلام: « إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين ».

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم، فإن العالم إما متعرضًا لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد، وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة.

وأما الآثار . . فقد قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقًا عليما ؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل. وقال الحسن رحمه الله: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء.

= الحلية من رواية صفوان بن عمرو عن أبى المخارق عن كعب عن عمر رفعه : « أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون »، فقال كعب : فقلت : والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم. قال الشيخ: غريب من حديث كعب تفرد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء .

(١٤٤) حديث : « من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدًا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق موسى بن إبراهيم عن موسى بن جعفر الصادق عن آبائه عن على رضي الله عنه رفعه إلا أنه قال : ولم يزدد فى الدنيا زهدًا مكان هدى. كذا فى الجامع الكبير للسيوطى وأشار له العراقى وقال: وقد روينا من طريق إبراهيم بن عبد الله عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده رفعه : « من ازداد بالله علما ثم ازداد بالدنيا حبًا ازداد الله عليه غضبًا » قال : والمشهور أن هذا الحديث من قول الحسن البصرى رواه ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر فى بيان العلم بلفظ : « من ازداد علمًا ثم ازداد على الدنيا حرصًا لم يزدد من الله إلا بعدًا» لفظ ابن حبان ، وقال ابن عبد البر: بغضًا ،بدل بعدًا ، وزاد : « ولم يزدد من الدنيا إلا بعدًا » قال : وقد روى مثل قول الحسن هذا مرفوعًا وكأنه أشار إلى حديث علىّ المتقدم .

قال مرتضى : وحديث على المتقدم سنده ضعيف لأن موسى بن إبراهيم قال الذهبى: قال الدارقطنى متروك ، كذا قاله المناوى، وعندى فى ذلك نظر لأن الذى قال فيه الدارقطنى متروك هو مروزى يروى عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبى ، والذى يروى عن موسى بن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل ، والحديث الذى بعده رواه أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء ، ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار حدثنا سليمان بن داود حدثنا ابن عيينة قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شرًا . وفى معنى ذلك قول مالك بن دينار : من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتى من العلم ما ينفعه .

وقال رجل لأبى هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال: كفى بترك العلم إضاعة له. وقيل لإبراهيم بن عيينة: أى الناس أطول ندمًا ؟ قال: أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت عالم مفرِّط. وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثورى رحمه الله: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إنى لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنيّ قوم افتقر، وعالما تلعب به الدنيا. وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وأنشدوا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين مَن باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال ﷺ: « **إن العالم ليعذب عذابًا يطيف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه** » (١٤٥) أراد به العالم الفاجر.

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه** » (١٤٦).

---

(١٤٥) حديث: « إن العالم ليعذب عذابًا يطيف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه » .

قال العراقى: لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتى بعده .

(١٤٦) حديث : « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون : ما لك ؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه » ، وفى بعض النسخ بعد قوله أقتابه : « يعنى أمعاءه» وهو مدرج من الراوى ،=

وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥) . لأنهم جحدوا بعد العلم، وجعل اليهود شرًا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدًا، ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلاّ أنهم أنكروا بعد المعرفة، إذ قال الله:

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥) حتى قال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

= قال العراقى: أخرجه البخارى ومسلم من رواية أبى وائل شقيق بن سلمة عن أسامة بن زيد واللفظ لمسلم إلا أنه قال: « يؤتى بالرجل» وقال: « أقتاب بطنه» وقال: « فيجتمع إليه الناس فيقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » ولفظ البخارى: « يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أى فلان، ألست كنت تأمر بالمعروف » فذكره، إلا أنه قال: « ولا أفعله» وقال: « وأفعله » وفى رواية لأحمد فى مسنده: « فيقولون: ما لك يا فلان ما أصابك ؟ » ، وفى رواية له: « يؤتى بالرجل الذى يطاع فى معاصى الله » الحديث، وفيه فيقول: « كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره » . اهـ .

قال مرتضى: وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أسامة بن زيد: « يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال: بلى، ولكن لم أكن لأفعله» كذا فى الذيل للسيوطى، وأخرج أبو نعيم فى ترجمة الشعبى من الحلية من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال: يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار، فيقولون: ما لكم فى النار، وإنما كنا نعمل بما تعلموننا ؟ فيقولون: إنما نعلمكم ولا نعمل به » وأخرج فى ترجمة منصور بن زاذان بسنده إليه قال: نبئت أن بعض من يلقى فى النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك؛ فيقول: كنت عالمًا لم أنتفع بعلمى.

فكذلك العـالم الفاجر، فـإن بلعام أوتى كـتاب الله تعـالى فأخلد إلى الشهـوات فشُـبه بالكلب، أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

وقال عـيسى عليه السلام: مـثل علماء السوء كـمثل صخرة وقـعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومـثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى.

فهذه الأخـبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حـالا وأشد عذابًا من الجاهل، وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات:

فمنهـا ألا يطلب الدنيا بعلمه ؛ فـإن أقل درجات العالم أن يدرك حقـارة الدنيا وخستـها وكدورتهـا وانصرامـها وعظم الآخرة ودوامـها وصفـاء نعيـمها وجـلالة ملكها، ويعلم أنهـما متضادتان وأنهـما كالضرتين مهما أرضَـيت إحداهما أسخطت الأخرى، وأنهمـا ككفتى الميزان مهمـا رجحت إحداهما خفت الأخـرى، وأنهما كالمشرق والمـغرب مهما قـربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وأنهما كـقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فـبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمـتلئ يفرغ الآخر، فـإن من لا يعرف حقارة الـدنيا وكدورتها وامـتزاج لذتها بألمـها ثم انصرام ما يصفو منهـا فهو فاسد العقل، فإن المشـاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له، ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامهـا فهو كافر مسلوب الإيمان؛ فكيف يكون من العلماء مَن لا إيمان له، ومَن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة، وأن الجمع بينهما طمع فى غيـر مطمع، فهو جـاهل بشرائع الأنبيـاء كلهم بل هو كافر بـالقرآن كله من أوله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء، ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخـرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته.

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى:

إن أدنى ما أصنع بالعـالم إذا آثر شهـوته عـلى محـبتى أن أحـرمه لذيذ مناجاتى، يا داود لا تسأل عنى عـالما قـد أسكرته الدنيا فـيصدك عن طريق مـحبـتى، أولئك قُطَّاع الطريق على

عبادى، يا داود إذا رأيت لى طالبًا فكن له خادمًا، يا داود من ردّ إلىّ هاربًا كتبته جهبذًا ومَن كتبته جهبذًا لم أعذبه أبدًا.

ولذلك قال الحسن رحمه الله: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة. ولذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص. وقال عمر ﷺ: إذا رأيتم العالم محبًا للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب. وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت فى بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه. وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علمًا فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم. وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم، قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟

قال الشاعر:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر:

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يُصلح الملح إذا الملح فسد؟

وقيل لبعض العارفين: أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله؟ فقال: لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى. وهذا دون ذلك بكثير، ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة، فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا؛ فإذا سمعت الرجل يقول: حدثنا، فإنما يقول أوسعوا لى. ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب، وكان يقول: أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت. وقال هو وغيره: إذا اشتهيت أن

تحدث فاسكت، فإذا لم تشته فحدِّث. وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدينا، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدينا، ولذلك قال الثورى: فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد.

وكيف لا تخاف فتنته، وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤).

وقال سهل رحمه الله: العلم كله دنيا، والآخرة منه، والعمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص.

وقال: « الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين، والمخلص على وَجَل حتى يدرى ماذا يختم له به». وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا » وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يُحتاج إليه فى طلب الآخرة.

وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم مَن مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه، وكيف يكون من أهل العلم مَن يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به.

وقال صالح بن كيسان البصرى: أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر العالم بالسنة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَن طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** »(١٤٧).

---

(١٤٧) حديث: « من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » **قال العراقى**: رواه أبو داود وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار عن أبى هريرة بلفظ: «من تعلم» وقال: « لا يتعلمه إلا ليصيب » وإسناده صحيح ورجاله رجال البخارى اهـ .

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد، فقال عز وجل في علماء الدنيا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

وقال تعالى في علماء الآخرة: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩٩).

وقال بعض السلف: العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه.

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون وبي يستهزئون، لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانَ** » (١٤٨).

= **قال مرتضى**: وقد رواه كذلك الإمام أحمد والحاكم والبيهقي، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد رفعه: «من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام» **قال العراقي**: وفي الباب عن ابن عمر رواه الترمذي وابن ماجه وقول المنذري في مختصر السنن: إن الترمذي روى حديث أبي هريرة وهو إنما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف اهـ. قلت: الذي عن ابن عمر في هذا المعنى: من تعلم علمًا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولعل هذا الحديث الذي أشار له العراقي.

(١٤٨) حديث: « أوحى الله إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ...» إلخ **قال العراقي**: رواه ابن عبد البر في العلم بإسناد ضعيف فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي قال البخاري: تركوه، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: متروك اهـ.

قال مرتضى: هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص أبو عمرو المدني ويقال له المالكي أيضًا نسبة إلى جده الأعلى أبي وقاص مالك، مات في خلافة الرشيد، روى=

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علمًا فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعًا، ولم يشتر به ثمنًا، فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض و الكرام الكاتبون، يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدًا شريفًا حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علمًا فى الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعًا واشترى به ثمنًا، فذلك يأتى يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار ينادى مناد على رءوس الخلائق: هذا فلان بن فلان آتاه الله علمًا في الدنيا فضنّ به على عباده وأخذ به طمعًا واشترى به ثمنًا، فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس» (١٤٩).

= عن عمة أبيه عائشة وابن أبى مليكة والزهرى ومحمد الباقر ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم، وعنه يونس بن بكر الشيبانى وحجاج بن نصر والهذيل بن إبراهيم الحمامى وإسماعيل بن أبان الوراق وصالح بن مالك الخوارزمى ومحمد بن يعلى بن زنبور وأبو عمر الدورى ويحيى بن بشر الحريرى وآخرون، روى له الترمذى حديثًا واحدًا فى ذكر ورقة بن نوفل ، قال البخارى فى التاريخ: سكتوا عنه ، وجده عمر بن سعد من رجال النسائى نزيل الكوفة صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان أميرًا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن على . **قال العراقى**: وفى الباب عن أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد نحوه دون ذكر كونه وحيًا إلى بعض الأنبياء، وعن أنس رواه الطبرانى فى الكبير بلفظ آخر مختصرًا، وكلاهما ضعيف اهـ. قلت : وجدت هذا الحديث فى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه، ولفظه: حدثنا عبد الله حدثنا على حدثنا حسين حدثنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله عزوجل فيما يعتب به أحبار بنى إسرائيل : « تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب، وتنقون القذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فبعزتى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم » وأخرجه الخطيب فى الاقتضاء فقال : أخبرنا الحسن بن على الجوهرى حدثنا محمد بن العباس الخراز حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا الحسين بن الحسن المروزى أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء .

(١٤٩) حديث : « علماء هذه الأمة رجلان . . . إلخ » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره إلا أنه قال : « فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير فى جو السماء » ولم يقل : « والكرام الكاتبون» وقال : « فبخل » وقال: « فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال : « هذا الذى آتاه الله علما فبخل به » وقال: « كذلك حتى يفرغ من الحساب » وعبد الله بن خراش ابن حوشب متفق على ضعفه وشهر بن حوشب مختلف فيه ،=

وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثنى موسى صفى الله، حدثنى موسى نجى الله، حدثنى موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله، ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرًا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود، فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلانًا ؟ قال: نعم، هو هذا الخنزير، فقال موسى: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بمَ أصابه هذا، فأوحى الله عز وجل إليه: لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به، لأنه كان يطلب الدنيا بالدين.

وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفًا ومرفوعًا فى رواية عن النبى ﷺ قال: «**من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، وفى الكلام تنميق وزيادة، ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفى الصمت سلامة وعلم**» (١٥٠).

ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار، ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رُد عليه شىء من علمه أو تهاون

= وذكر المصنف أنه من رواية الضحاك عن ابن عباس والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه، وقال الطبرانى بعد تخريجه: لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبد الله بن خراش ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد اهـ . قلت: وقد علمت أن المصنف تبع فى قوله هذا صاحب القوت فلعله وقع له طريق إلى ابن عباس غير الذى أشار إليه الطبرانى لكونه ثقة، والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالى أبو القاسم الخراسانى روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى سعيد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، وقد تُكلم فى سماعه من ابن عباس بل من الصحابة وروى أيضًا عن الأسود بن يزيد النخعى وعطاء وأبى الأحوص والنزال بن سبرة وعبد الرحمن ابن عوسجة، وعنه جويبر بن سعيد وسلمة بن نبيط وعبد العزيز بن أبى رواد وإسماعيل بن أبى خالد وعمارة بن أبى حفصة وأبو حباب الكلبى ومقاتل بن حيان وجماعة ، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحدًا من الصحابة ومن زعم أنه لقى ابن عباس فقد وهم، وقال ابن عدى: عُرف بالتفسير، وأما رواياته عن ابن عباس وأبى هريرة ففيها نظر ، مات سنة ست ومائة .

(١٥٠) حديث : « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفى الصمت سلامة وعلم» ، كذا فى النسخ ومثله فى القوت ، وقد أصلح العراقى فى نسخته التى قرأها عليه ولده وقال : «سلامة وغنم » .

بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار، ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وَعَظَ عنف، وإن وُعِظَ أنِفَ، فذلك في الدرك السابع من النار، فعليك يا أخي بالصمت فيه تغلب الشيطان، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب.

وفي خبر آخر: « **إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند الله جناح بعوضة** » (١٥١).

وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز، وقال: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له.

وعن جابر ﷺ موقوفًا ومرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى**

---

(١٥١) حديث : « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي : لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ، وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه : « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » اهـ.

قال مرتضى : قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث : « إن من العلم كهيئة المكنون » ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلي أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة » .

الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة» (١٥٢).

---

(١٥٢) حديث : « لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالمًا يدعوكم من خمس إلى خمس . . . »

قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبى الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا مع كل عالم » فذكره ، العداوة ثم الكبر على الرياء ، وآخرها : « من الرغبة إلى الرهبة » وعباد بن كثير البصرى نزيل مكة كان رجلا صالحًا ولكنه متروك، قاله النسائى وغيره ، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد ، قال صاحب الميزان: منكر الحديث » ثم قال : لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ .

قال مرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن على بن أبى بلال حدثنا على بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخى حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو بن حجر ورواه أيضًا أحمد ابن عبد الله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسى حدثنا أحمد بن نصر الأعمشى البخارى حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد الأنصارى حدثنا أحمد ابن عبد الله حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله ، رواه يحيى بن خالد المهلبى عن شقيق فخالفهما، حدثناه أبو سعد الإدريسى حدثنا محمد بن الفضل القاضى بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسى ببلخ حدثنا يحيى بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبى ﷺ مثله، وفى هذا الحديث كلام كان شقيق كثيرًا ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه . انتهى . كلام أبى نعيم، ثم قلت : قال الحافظ السيوطى نقلا عن اللسان : أحمد بن عبد الله هو الجويبارى أحد الكذابين، ثم قال العراقى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبى نعيم المذكور اهـ .

قال مرتضى: وقد وجدت لهذا الحديث طريقًا آخر قال السيوطى: قال ابن النجار فى تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجى عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال : كتب إلىَّ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازى حدثنى أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويبى حدثنا أبو بكر عمر بن يمنى بن عيسى الخويبى أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويبى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادى حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزى حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخى أخبرنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر مرفوعا : « لا تقعدوا مع كل ذى علم إلا إلى عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ومن الغنى إلى التقلل » ووجدت له طريقًا آخر من طريق أهل البيت قال السيوطى : وقال العسكرى فى المواعظ : حدثنا الحسن بن على بن عاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال=

بشيء من حقه غضب، فذلك فى الدرك الثانى من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار، ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك فى الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك فى الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا فى الناس، فذلك فى الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وَعَظَ عنف، وإن وُعِظَ أنِفَ، فذلك فى الدرك السابع من النار، فعليك يا أخى بالصمت فيه تغلب الشيطان، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب.

وفى خبر آخر: « **إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند الله جناح بعوضة** » (١٥١).

وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز، وقال: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له.

وعن جابر ﷺ موقوفًا ومرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى**

---

(١٥١) حديث: « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى**: لم أجد له أصلا بهذا اللفظ، وفى الصحيحين من رواية أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رفعه: « ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » اهـ.

قال مرتضى: قد تقدم فى أول الكتاب عند ذكره حديث: « إن من العلم كهيئة المكنون » ما ذكره الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلى أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة ».

الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة» (١٥٢).

---

(١٥٢) حديث : « لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالمًا يدعوكم من خمس إلى خمس . . . »

قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبى الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا مع كل عالم » فذكره ، العداوة ثم الكبر على الرياء ، وآخرها : « من الرغبة إلى الرهبة » وعباد بن كثير البصرى نزيل مكة كان رجلا صالحًا ولكنه متروك، قاله النسائى وغيره ، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد ، قال صاحب الميزان: منكر الحديث » ثم قال : لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ .

قال مرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن على بن أبى بلال حدثنا على بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخى حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو بن حجر ورواه أيضًا أحمد ابن عبد الله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسى حدثنا أحمد بن نصر الأعمشى البخارى حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد الأنصارى حدثنا أحمد ابن عبد الله حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله ، رواه يحيى بن خالد المهلبى عن شقيق فخالفهما، حدثناه أبو سعد الإدريسى حدثنا محمد بن الفضل القاضى بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسى ببلخ حدثنا يحيى بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبى ﷺ مثله، وفى هذا الحديث كلام كان شقيق كثيرًا ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه . انتهى . كلام أبى نعيم، ثم قلت : قال الحافظ السيوطى نقلا عن اللسان : أحمد بن عبد الله هو الجويبارى أحد الكذابين، ثم **قال العراقى** ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبى نعيم المذكور اهـ .

قال مرتضى: وقد وجدت لهذا الحديث طريقًا آخر قال السيوطى: قال ابن النجار فى تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجى عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال : كتب إلىّ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازى حدثنى أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويبى حدثنا أبو بكر عمر بن يمنى بن عيسى الخويبى، أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويبى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادى حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزى حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخى أخبرنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر مرفوعا : « لا تقعدوا مع كل ذى علم إلا إلى عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ومن الغنى إلى التقلل » ووجدت له طريقًا آخر من طريق أهل البيت قال السيوطى : وقال العسكرى فى المواعظ : حدثنا الحسن بن على بن عاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب ﷺ قال : قال=

قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ (القصص: ٧٩، ٨٠).

فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا.

ومنها ألا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به.

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣).

وقال تعالى فى قصة شعيب: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ (المائدة: ١٠٨).

وقال تعالى لعيسى عليه السلام: « يا ابن مريم، عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحى منى».

وقال رسول الله ﷺ: « مررت ليلة أُسرى بى بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم ؟ فقال: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه» (١٥٣).

= رسول الله ﷺ: « لا تقعد إلا إلى عالم يدعوك من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكبر إلى التواضع ومن المداهنة إلى المناصحة ومن الجهل إلى العلم » اهـ. فبهذه الطرق يتقوّى جانب الرفع فى حديث شقيق.

(١٥٣) حديث: « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم ؟ فقالوا: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه » **قال العراقى:** أخرجه ابن حبان فى صحيحه من رواية مالك بن دينار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت ليلة =

وقال ﷺ : « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل، وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء » (١٥٤).

= أسرى بي رجالا تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» قال ابن حبان: رواه أبو عتاب الدلال عن هشام عن المغيرة عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس ، قال: ووهم فيه لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل ابن عتاب وذويه، **قال العراقي** : طريق ابن عتاب هذه رواها أبو نعيم في الحلية وأبو عتاب احتج به مسلم ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد . ا هـ .

قال مرتضى : نص أبي نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا إبراهيم بن هشام حدثنا محمد بن المنهال حدثنا هشام الدستوائي عن المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسرى بي إلى السماء فإذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هم خطباء من أمتك » تفرد به يزيد بن زريع عن هشام ورواه أبو عتاب سهل بن حماد عن هشام عن المغيرة عن مالك عن ثمامة عن أنس بن مالك كذلك رواه صدقة عن مالك حدثنا محمد بن أحمد بن على ابن مخلد حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة بن موسى عن مالك ابن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت ، قلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون » . اهـ . قلت: وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن إبراهيم عن صدقة والحسن بن أبي جعفر قالا: حدثنا مالك ابن دينار عن ثمامة فذكره، وأخرج في ترجمة إبراهيم بن أدهم الزاهد فقال : حدثنا أبو نصر النيسابوري حدثنا إبراهيم أبو الحسن حدثنا محمد بن سهل العطار حدثنا أحمد بن سفيان النسائي حدثنا ابن مصفى حدثنا إبراهيم بن أدهم حدثنا مالك بن دينار عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . . . فساقه بمثل سياق ابن حبان ، وقال : مشهور من حديث مالك عن أنس، غريب من حديث إبراهيم عنه، ثم **قال العراقي** : وللحديث طرق أخرى أحدها من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس رواه أحمد والبزار، والثاني من رواية عيسى بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح، والثالث من رواية عمر بن نبهان عن قتادة عن أنس رواه البزار اهـ. قلت : ورواه أيضًا الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما وأبو داود الطيالسي وسعيد بن منصور وأبو يعلى، والألفاظ كلهم متقاربه ففي بعضها «مررت ليلة أسرى بي على قوم » وفيها : « قال: خطباء من أهل الدنيا » و«يأمرون الناس بالبر» بدل « الخير » والباقي سواء .

(١٥٤) حديث : « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل، وشر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء » **قال العراقي** : أما أول الحديث فلم أجد له أصلا ، وأما آخره فرواه الدارمي في=

وقال الأوزاعى رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: بلغنى أن الفسقة من العلماء يُبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. وقال أبو الدرداء ﷺ: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال الشعبى: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله. وقال حاتم الأصم رحمه الله: «ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علَّم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به؛ ففازوا بسببه وهلك هو». وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحتَ متهمًا ... إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها

تعيب دنيا وناسًا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر:

لا تنه عن خُلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

= مسنده من رواية بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبى ﷺ عن الشر، فقال: « لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير »، يقولها ثلاثًا ، ثم قال : « ألا إن شر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء » ، وهذا مرسل ضعيف، فبقية مدلس ، وقد رواه بالعنعنة، والأحوص ضعفه ابن معين والنسائى وأبوه تابعى لا بأس به اهـ.

قال مرتضى : ومن الشواهد للجملة الأولى ما أورده صاحب القوت : وروينا عن عمر وغيره : « كم من عالم فاجر وعابد جاهل، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين » وأخرج أبو نعيم فى ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ قال : تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت : يا رسول الله أرنا شر الناس، فقال: «سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء فى الناس » ويروى معضلا من طريق سفيان عن مالك بن مغول قال : قيل: يا رسول الله فأى الناس شر؟ قال : « اللهم غفرا » ، قالوا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : « العلماء إذا فسدوا » .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه: اقلبني تعتبر، فقلبته فإذا عليه مكتوب: « أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم. وقال ابن السماك رحمه الله: « كم من مذكِّر بالله ناس لله، وكم من مخوِّف بالله جرىء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فارّ من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن، ولحنا في أعمالنا فلم نعرب. وقال الأوزاعي: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع.

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « **تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا** » (١٥٥).

---

(١٥٥) حديث : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا » **قال العراقي** : ذكره ابن عبد البر في بيان العلم هكذا من غير أن يصل إسناده وقد روى من حديث معاذ وابن عمر وأنس ، أما حديث معاذ فرواه الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن يزيد بن يزيد بن جابر عن أبيه عن معاذ عن النبي ﷺ فذكر مثله، وأخرجه أيضًا من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبي عن يزيد بن يزيد بلفظ « فلن ينفعكم» مكان «يأجركم» وهكذا رواه ابن عدى في الكامل وأبو نعيم في الحلية ثم قال: وقد رواه الدارمي في مسنده وابن المبارك في الزهد والرقائق موقوفا على معاذ بإسناد صحيح. ا هـ .

قال مرتضى : الذي في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن إسحق حدثنا الحسين بن الحسن حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن يزيد ابن جابر قال : قال معاذ : قال : « اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا» قال الشيخ : رفعه حمزة النصيبي عن ابن جابر عن أبيه عن معاذ ثم ساق سنده إليه كسياق الخطيب ، ثم **قال العراقي** : وأما حديث ابن عمر فرواه الدارقطني في غرائب مالك ومن طريقه الخطيب في « أسماء الرواة عن مالك » بسند فيه محمد بن روح وهو ضعيف ولا يصح هذا عن مالك ، وأما حديث أنس فروى عنه مرفوعا وموقوفًا ، رواه ابن عبد البر في العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفا قال: وهو أولى من رواية من رواه مرفوعا قال : وعباد متفق على تركه اهـ. **قال مرتضى**: وقد أخرج ابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء أشار له السيوطي وسياقه كسياق الخطيب، ورواه الحسن بن الأخرم المديني في أماليه عن أنس أشار له السيوطي وسياقه كسياق الخطيب، وأخرج الخطيب في الاقتضاء من طريق وكيع عن جعفر بن=

وقال عيسى عليه السلام: مَثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت. فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد.

وقال معاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته. وقال عمر ﷺ: إذا زل العالِم زل بزلته عالَم من الخلق. وقال عمر ﷺ: ثلاث بهن ينهدم الزمان: إحداهن زلة العالم. وقال ابن مسعود: سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب، فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه، فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلب الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب، فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلِّمين علموا لغير الله تعالى والمتعلِّمين تعلموا لغير الله تعالى.

وفى التوراة والإنجيل مكتوب: «لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم».

وقال حذيفة ﷺ: إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا. وذلك لكثرة البطالين.

واعلم أن مثل العالم مثل القاضى، وقد قال ﷺ: «**القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار**» (١٥٦).

= برقان عن فرات بن سليمان عن أبى الدرداء قال: «إنك لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا ولن تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملا» وأخرج من طريق هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال: قال أبو الدرداء: «لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملا».

(١٥٦) حديث: «القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك فى الجنة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار» قال=

وقـــال كعب رحـمـه الله: يكــون فى آخــر الزمـان علماء يزهِّــدون النــاس فى الدنيا ولا يزهَدون، ويخوِّفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، يأكلون بألسنتهم، يقـربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كـما تتغاير النساء عـلى الرجـال، يغضب أحـدهم عـلى جليسـه إذا جـالس غيـره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.

وقــال ﷺ : « إن الشيطان ربما يسوقكم بالعلم» ؛ فـقيل: يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال ﷺ : « يقـول: اطلب العلم ولا تعـمل حتى تعلم، فـلا يزال للعلم قائلا وللعـمل مسـوِّفًا

= المناوى : قال فى المطامح : هذا تقسيم بحسب الوجـود لا بحسب الحكم ، ومعروف أن مرتبة القضاء شريفة ، ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق ، وحكم على عِلم بغير هوى وقليل ما هم ، وقيل معناه : من كان الغالب على أقضيتـه العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة ، ومن غلب على أحكامه الجور والميل إلى أحدهما فله النار ، والحـاصل أنه فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمـقصرين فى تحصيل رتب الكمال . قالوا : والمفـتى أقرب إلى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفـتواه ، والقاضى يلـزم بقوله ؛ فخطره أشـد ، فيتعـين على كل من ابتلى بالقضاء أن يتـمسك من أسباب التقـوى بما يكون له جُنة اهـ. **قـال العــراقى** : رواه بـريدة بـن الخصـيب وعبد الله بن عـمر، أما حـديث بريدة فرواه أبو داود والترمـذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية ابن بريدة عن أبيـه عن النبى ﷺ قال : «القضاة ثلاثة : قاضـيان فى النار وقاض فى الجنة: رجل قـضى بغير الحق فـعلم ذاك فذلك فى النار ، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار ، وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة » لفظ رواية الترمذى ورجـالها رجال الصحـيح ، وإسناد النسائى وابن ماجه أيضًا صـحيح اهــ. **قلت**: ورواه الحاكم كذلك وصححه ، قال الذهبى: والعـهدة عليه ، ولفظ الحاكم : « القضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة: رجل علـم الحق فقضى به فهـو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار» **قال العـراقى**: وابن بريدة الذى لم يسم فى روايتهم هو عبـد الله بن بريدة كما ذكره ابن عساكـر والمزنى كلاهما فى الأطراف، ثم قال : وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر ، رفعه : « القضاة ثلاثة : قاضـيان فى النار وقاض فى الجنة: قاض قضى بالهوى فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة » وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح .

قال مرتضى : وكذا رواه أبو يعلى فى معجمه ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات، وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزءًا .

حتى يموت وما عمل » [١٥٧] .

وقال سرى السقطى: اعتزل رجل للتعبد، كان حريصًا على طلب علم الظاهر، فسألته فقال: رأيت فى النوم قائلا يقول لى: إلى كم تضيع العلم ضيعك الله ؟ فقلت: إنى لأحفظه، فقال: حفظ العلم العمل به، فتركت الطلب وأقبلت على العمل. وقال ابن مسعود ﷺ: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية. وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية. وقال مالك رحمه الله: إن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن إذا صحَّت فيه النية، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرون عليه شيئًا. وقال ابن مسعود ﷺ: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا، وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها.

وفى مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

وفى الخبر: « **إنما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن**» [١٥٨] .

---

(١٥٧) حديث : « إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم . . . » هكذا فى نسخ الكتاب التى بأيدينا وفى نسخة بخط الكمال الدميرى : «ربما سبقكم » بلفظ الماضى، وهو هكذا فى نص القوت وعوارف المعارف ، ووجدت فى نسخة المغنى للحافظ العراقى التى قرئت عليه وعليها خطه : « ربما يسبعكم » بالعين المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى .

(١٥٨) حديث : « مما أخاف على أمتى زلة العالم وجدال منافق فى القرآن » **قال العراقى** : فيه عن أبى الدرداء ومعاذ وعمر وعلى وعمران بن الحصين، أما حديث أبى الدرداء فرواه الطبرانى من رواية أبى إدريس الخولانى عنه رفعه : « أخاف على أمتى ثلاثا: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر » ، وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى فى معجميه الصغير والأوسط من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عنه رفعه : « إنى أخاف عليكم ثلاثًا وهن كائنات: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم » ورواه فى الأوسط من رواية عمرو بن مرة عن معاذ رفعه : « إياكم وثلاثة : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن . . . » الحديث ثم فسرها ، وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ ،وذكره الدارقطنى فى العلل من رواية عبد الله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال :« إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث : جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم » وأعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية براويه المذكور قال الدارقطنى: وقد=

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنبًا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال، فمثال من يعرض عن علم الأعمال

= وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعنى على معاذ، قال: والوقف هو الصحيح، وأما حديث عمر فرواه أحمد من رواية أبى عثمان النهدى عنه بلفظ « إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان » وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفا على عمر قال الدارقطنى والموقوف أشبه بالصاب ، قلت حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعًا بلفظ : « إنما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور » ورواه إسحق بن راهوية، والحرث بن أبى أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة أن وفدًا أقدموا على عمر فقال لإذنه، فساق الحديث وهو طويل وفى آخره « ثم قال عمر عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان » واللفظ لمسدد ثم رواه مسدد موقوفا من طريق أبى عثمان النهدى: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو على المنبر، منبر رسول الله ﷺ ، أكثر من أصابعى هذه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم ، قال : وكيف يكون المنافق عليمًا يا أمير المؤمنين ؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب. وقال حماد : وقال ميمون : الكردى عن أبى عثمان عن عمر نحوه ، وروى إسحق فى مسنده من رواية حماد عن أبى سويد عن الحسن قال : لما قدم أهل البصرة على عمر فيهم الأحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده ثم قال :أتدرى لم حبستك إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عالم اللسان، وإنى أتخوف أن تكون منهم وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك ، ثم **قال العراقى**: وأما حديث على رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من رواية الحارث الأعور عنه رفعه: «إنى لا أتخوف على أمتى مؤمنا ولا مشركا، أما المؤمن فيحجزه إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» قال: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، والحارث الأعور ضعيف .

قال مرتضى : لكن وثقه ابن حبان وكذلك رواه إسحق بن راهويه فى مسنده بسند ضعيف لجهالة التابعى ورواه أيضًا من طريق إسحق الفروى وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال : قال رجل بالمدينة فى حلقة : « أيكم يحدثنى عن رسول الله ﷺ حديثًا ؟ فقال على : أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول . . قد ذكره ، وفيه: « ولكن رجلا بينهما يقرأ القرآن حتى إذا دلق به يتأوله على غير تأويله، فقال ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضلّ وأضل» ثم **قال العراقى** : وأما حديث عمران بن حصين رواه أحمد وابن حبان من رواية عبد الله بن بريدة عنه رفعه بلفظ : «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » اللفظ لأحمد وقال ابن حبان : « جدال منافق عليم اللسان » وذكر الدارقطنى فى العلل أنه رواه عن معاذ بن معاذ عن حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران رفعه، قال : ووهم فيه، قال: ورواه عبد الوهاب بن عطاء وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين عن ابن بريدة عن عمر وهو الصواب فى قصة طويلة ، **قال العراقى** : وهو عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل رواية معاذ اهـ. قلت : تقدم رواية ابن بريدة عن عمر ، وهكذا رواه إسحق بن راهويه والحارث ومسدد .

ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة، وقد صادف طبيبًا حاذقًا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه.

وقد روي أن رجلا جاء رسول الله ﷺ « فقال: علّمنى من غرائب العلم، فقال له: « ما صنعت فى رأس العلم » ؟ فقال: وما رأس العلم ؟ قال ﷺ : « هل عرفت الرب تعالى » ؟ قال: نعم، قال: « فما صنعت فى حقه» ؟ قال: ما شاء الله، فقال ﷺ : « هل عرفت الموت »؟ قال: نعم، قال: « فما أعددت له »؟ قال: ما شاء الله، قال ﷺ : « اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » (١٥٩).

---

(١٥٩) حديث : « علمنى من غرائب العلم فقال له : ما صنعت فى رأس العلم ؟ قال : وما رأس العلم ؟ فقال له ﷺ : هل عرفت الرب سبحانه قال : نعم، قال : فما صنعت فى معرفته؟ قال: ما شاء الله، قال : هل عرفت الموت؟ قال : نعم ، قال : فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله، قال : اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » .

قال العراقى : رواه أبو بكر بن السنى وأبو نعيم كل واحد فى كتابه رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى بيان العلم من رواية خالد بن أبى كريمة عن عبد الله بن المسور قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أتيتك لتعلمنى من غرائب العلم . . «ذكره» وهو مرسل ضعيف جدا، قال ابن أبى حاتم : عبد الله بن مسور بن عبد الله بن عون ابن جعفر بن أبى طالب الهاشمى المدائنى سألت أبى عنه فقال : الهاشميون لا يعرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل فى أحاديث الثقات ، وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه موضوعة ، كان يضع الحديث ويكذب .

قال مرتضى : وفى الديوان للذهبى: عبد الله بن مساور تابعى مجهول ، وأما الراوى عنه خالد ابن أبى كريمة فمن رجال النسائى وابن ماجه وُثق وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، ثم إنه قد يكون المراد بغرائب العلم الأحاديث الغرائب التى لا خير فى روايتها ، وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهية الاشتغال بها وذهاب الأوقات فى طلبها ؛ فقد أخرج الخطيب فى مناقب شرف أصحاب الحديث له من طريق محمد بن جابر عن الأعمش عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث ، وأخرج من طريق بشر بن الوليد ، قال: سمعت أبا يوسف يقول : لا تكثروا من الحديث الغريب الذى لا يجيء به الفقهاء وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. وأخرج من طريق المروزى قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول : تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب، ما أقل الفقه فيهم . فعلم من ذلك أن السؤال فى غرائب الكلام والحديث مذموم ، والمدار على معرفة رأس العلم الذى هو معرفة الله سبحانه .

بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما رُوي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضي الله عنه أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال: فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال: ثمانى مسائل، قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل، قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها، وإنى لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها، قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبًا فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبى فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى ؛ فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثانية ؟ فقال: نظرت فى قول الله عز وجل:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات: ٤٠).

فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى، **الثالثة:** أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عزوجل:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل: ٩٦).

فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظًا، **الرابعة:** أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هى لا شىء ثم نظرت إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريمًا، **الخامسة:** أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضًا وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عزوجل:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الزخرف: ٣٢).

فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى، **السادسة**: نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا فرجعت إلى قول الله عزوجل:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: ٦).

فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره، **السابعة**: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦).

فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علىّ وتركت ما لى عنده، **الثامنه**: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق: هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق: ٣).

توكلت على الله عز وجل فهو حسبى. قال شقيق: يا حاتم، وفقك الله تعالى فإنى نظرت فى علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمانى مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة، فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام.

وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع، وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام.

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب، والتنعم فى الملبس، والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه، ويشهد لذلك ما حكى عن أبى عبد الله الخواص، وكان من أصحاب حاتم الأصم قال: دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات، وليس معهم جراب ولا طعام ؛ فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة ؛ فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ؟ قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضًا أجىء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرًا يقول: باب عالم على هذه الحالة ! ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة، وإذا بزة وستور، فبقى حاتم متفكرًا، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس ؛ فقال: لعل لك حاجة، فقال: نعم، قال: وما هى ؟ قال: مسألة أسألك عنها، قال: سل، قال: قم فاستو جالسًا حتى أسألك؛ فاستوى جالسًا، قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته، فقال: من الثقات حدثونى به، قال: عمن ؟ قال: من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال: وأصحاب رسول الله عمن ؟ قال: رسول الله ﷺ : قال: ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل، قال حاتم: ففيما أدّاه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات إليك هل سمعت فيه: من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر ؟ قال: لا، قال: فكيف سمعت ؟ قال: سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة، قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت؟ أبالنبى ﷺ وأصحابه ﷺ والصالحين رحمهم الله، أم بفرعون ونمروذ أول مَن بنى بالجص

والآجر؟ يا علماء السـوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيـا الراغب فيها فيـقول: العالم على هذه الحالة أفـلا أكون أنا شـرًا منه؟ وخرج من عنده فـازداد ابن مقاتل مـرضًا. وبلغ أهل الرأى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسى بقـزوين أكثر توسعًا منه، فسار حاتم متعمدًا فـدخل عليه، فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبـتدأ دينى ومفتاح صلاتى، كيف أتوضـأ للصلاة ؟ قال: نعم وكرامة، يا غـلام هات إناء فيه ماء، فأتى به فـقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: هكذا فتوضأ، فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكـد لما أريد، فقـام الطنافسى وقعـد حاتم فتـوضأ ثم غسل ذراعيـه أربعًا أربعًا فـقال الطنافسى: يا هذا أسرفت، قال له حاتم: فى ماذا ؟ قال: غسلت ذراعيك أربعًا، فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم، أنا فى كف من ماء أسـرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ؟ فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فـدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يومًا. فلما دخل حاتم بغداد اجتـمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحـمن، أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعـته، قال: مـعى ثلاث خصال أظهـر بهن على خصمى: أفـرح إذا أصاب خصمى، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل، فقال: سبـحان الله، ما أعقله قوموا بـنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبـد الرحمن، ما السلامة من الدنيـا ؟ قال: يا أبا عبد الله، لا تسلم من الدنيا حتى يكـون معك أربع خصال: تغفر للقـوم جهلهم، وتمنع جهلك منهم، وتبذل لهـم شيئك، وتكون من شيئـهم آيسًا ؛ فإذا كنت هكذا سلمت، ثم سار إلى المدينة فـاستقبله أهل المدينة، فقـال: يا قوم أية مدينة هذه ؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ، قال: فأين قصـر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه ؟ قالوا: ما كان له قصر إنمـا كان له بيت لاطئ بالأرض، قال: فأين قصور أصحـابه ﷺ؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض، قال حـاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالـوا: هذا العجمى يقول هذه مدينة فـرعون، قال الوالى: ولمَ ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل علىّ أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه ؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: فأين قصره، وقصّ القصة، ثم قال: وقد قال الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه.

فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى، وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه، والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هى محظورة، والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض فى الدنيا لا يسلم منها ألبتة، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ فى ترك الدنيا، « **حتى نزع القميص المطرز بالعلم** » (١٦٠)، « **ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة** » (١٦١)، إلى غير ذلك مما سيأتى

---

(١٦٠) حديث : « نزع القميص المطرز بالعلم » أى المعلم، **قال العراقى** : المعروف نزعه للخميصة المعلّمة اهـ .

وقال مرتضى : إطلاق القميص على الخميصة مجاز فإن القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالبًا، والخميصة كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلمًا فليس بخميصة كما قاله الجوهرى وكانت من لباس الناس قديمًا ، **قال العراقى** : وحديث الخميصة أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية الزهرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما سلم قال : « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم بن حذيفة » لفظ البخارى . ا هـ .

وقال مرتضى : رويناه فى أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به.

(١٦١) حديث : « ونزع الخاتم الذهب ونبذه فى أثناء الخطبة » **قال العراقى** : رواه ابن عمر وابن عباس، أما حديث ابن عمر فأخرجه الأئمة الستة إلا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائى من رواية الليث ورواه البخارى من رواية جويرية ومسلم والترمذى من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب وجعل فصه فى بطن كفه إذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب فرقى المنبر فحمد =

بيانه، وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس ﵁: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين، من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس، أما بعد.. فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبًا وقد جلست مجلس العلم وقد ضُربت إليك المطى وارتحل إليك الناس واتخذوك إمامًا ورضوا بقولك، فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة منى كتابًا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام. فكتب إليه مالك: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام الله عليك أما بعد.. فقد وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرًا وأسأل الله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فأما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام.

فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعًا، ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضًا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتعريج على التنعم المباح

= الله وأثنى عليه فقال: «إنى كنت اصطنعته وإنى لا ألبسه» فنبذه فنبذ الناس. لفظ رواية البخارى من رواية جويرية عن نافع واتفقا عليه وأبو داود والنسائى من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وكذا رواية مسلم وأبو داود والنسائى من رواية أيوب بن موسى عن نافع والبخارى من طريق مالك والنسائى من رواية إسماعيل بن جعفر كلاهما عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وأما حديث ابن عباس فرواه النسائى من رواية سليمان الشيبانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا فلبسه قال: «شغلنى هذا عنكم منذ اليوم: إليه نظرة وإليكم نظرة» ثم ألقاه.

خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية، وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر.

ومنها أن يكون مستقصيًا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه، فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنًا لهم، أو يتكلف فى كلامه كلامًا لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم، وذلك هو السحت، وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها، وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط، وقد قال ﷺ: « من بدا جفا » يعنى من سكن البادية جفا « **ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن** » (١٦٢)، وقال ﷺ: « **سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد**

---

(١٦٢) حديث : « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن » لأنه إن وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه وإن خالفه فقد خاطر بروحه ، وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم فى الدنيا والعقوبة فى العقبى . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير ، ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية ، وأبو قرة كلهم من رواية سفيان عن أبى موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس رفعه ، ولفظهم كلهم ما عدا الترمذى: «ومن أتى السلطان » ، والباقى سواء ، ولفظ الترمذى : « ومن أتى أبواب السلطان » وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثورى ، وقال سفيان مرة : لا أعلمه إلا عن النبى ﷺ ، وقال أبو نعيم فى الحلية : أبو موسى هو اليمانى لا نعرف له اسمًا، وقال الذهبى فى الميزان : شيخ يمانى يجهل ، ما روى عنه غير الثورى ولعله إسرائيل بن موسى وإلا فهو مجهول، ونقل المنذرى فى مختصر السنن قال الكرابيسى : حديثه ليس بالقائم ، وفى الباب عن أبى هريرة والبراء بن عازب ، ولفظ حديث أبى هريرة : « من بدى فقد جفا » والباقى سواء وزاد فى آخره : « وما ازداد أحد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدًا » رواه أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل وابن حبان فى الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعى عن عدى ابن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة وضعفوه كالمنذرى فى مختصر السنن ، ولكن حسنه =

بريئ، ومن كـرهه فـقد سلم ، ولكن من رضـى وتـابع أبـعده الله تعالـى » ، قيل أفلا نقـاتلهم ؟ قال ﷺ : « لا، ما صلوا » (١٦٣) .

وقال سـفيان: فى جهنم واد لا يـسكنه إلا القراء الزائرون للملوك. وقال حـذيفة: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما هى ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه.

= العراقى قال : وقد رواه أبو داود من رواية ابن داسـة وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا إلا أنه قال: عن عـدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار عن أبى هريرة بلفظ حـديث وهب بن منبه عن ابن عبـاس ، وقد رواه أيضًـا أبو يعلى فى مسنده هكذا ، وأمـا حديث البـراء فرواه أحـمد مختصرًا من طريق شريك عن الحـسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عنه رفعه : « من بدا جفا » وذكره الدارقطنى فى الـعلل فقال : تفـرد به شريك واختلف فـيه على الحـسن بن الحكم فرواه شريك عنه هكذا ، وخـالفه إسماعـيل بن زكريا فرواه عنه عن عـدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة كما تقدم ، وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسى فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار لم يسمه اهـ .

قـال مـرتضى: وأخرجه العقـيلى فى الضعفاء والرويانى وسعيـد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة : « ومن تبع الصيد غفل » .

(١٦٣) حديث : « سيـكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فـمن أنكر فقد برئ، ومن كـره فقد سلم، ولكـن من رضى وتابع أبعـده الـله » قـيل: أفـلا نـقـاتلهم ؟ قـال : « لا مـــا صلوا » قال العراقى: أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى من رواية ضبة بن محصن عن أم سلمة عن النبى ﷺ ، واللفظ للترمذى إلا أنه قال: «أئمة» بدل « أمراء» ولم يقل : « أبعده الله » وقال: حسن صحيح، وفى رواية لمسلم : « إنه يستعمل عليكم أمراء فـتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم » فـذكره دون قوله : «أبعده الله» وفيه: « قـالوا يا رسول الله » بدل « قيل » وفى رواية له : « فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم » وفى رواية له : «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم » اهـ. قال مرتضى : وأخرج ابن أبى شيبة عن عبادة ابن الصامت رفـعه : « ستكون عليكم أمـراء يأمرونكم بما تـعرفون ويعملون بـما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعـة » وأخرج ابن جرير والطبـرانى فى الكبير والـحاكم عن عبـادة بن الصامت أيضًا ولـفظهم : « سيلى أمـوركم من بعدى رجـال يعرفـونكم بما تنكرون وينكرون عليكـم بما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل » وأخرج ابن ماجه وابن عساكر عن أبى هريرة رفعه : « سيكون بعدى خلفاء يعمـلون بما لا تعملون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم برئ ومن أمسك يده سلم » .

وقال رسول الله ﷺ : «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » (١٦٤) رواه أنس.

وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك، فقال: لا تعجلوا، ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق، والثلث الباقى لا يفلح منه إلا القليل. ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء

---

(١٦٤) حديث : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله . . . » رواه أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة حفص الأبرى عن إسماعيل بن سميع الحنفى عن أنس عن النبى ﷺ . قال العقيلى : وحفص كوفى حديثه غير محفوظ، قال العراقى : وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق الحاكم ومن طريق أبى نعيم الأصبهانى من رواية إبراهيم بن رستم عن أبى حفص العبدى عن إسماعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله : « ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا » وقال فى آخره : « فاحذروهم واخشوهم » اهـ .

قال مرتضى : لفظ الحاكم : « ويدخلوا فى الدنيا فإذا دخلوا فى الدنيا وخالطوا السلطان» وفى آخره : « فاعتزلوهم » وأخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده عن محمد بن مالك عن إبراهيم بن رستم ، قال العراقى : ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من رواية إبراهيم بن رستم عن عمر ابن حفص العبدى عن إسماعيل بن سميع قال : تابعه محمد بن معاوية النيسابورى عن محمد بن يزيد عن إسماعيل ثم قال : وأما عمر العبدى ، قال يحيى : ليس بشىء ، وقال النسائى : متروك ، وأما إبراهيم بن رستم فقال ابن عدى: ليس بمعروف، ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد: كذاب ، إلى هنا كلام ابن الجوزى. قال العراقى : أما إبراهيم بن رستم فقال فيه عثمان ابن سعيد الدارمى عن يحيى بن معين : إنه ثقة اهـ. قال السيوطى : الحديث ليس بموضوع وإبراهيم ابن رستم معروف مروزى جليل ، قال الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان عن أبى حاتم : يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يخطئ، وقال الدارقطنى: مشهور وليس بالقوى ، وله طريق آخر أخرجه الديلمى من رواية محمد بن النضر،حدثنا محمد بن يزيد بن سابق ، حدثنا نوح بن أبى مريم عن إسماعيل ابن سميع، وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن على بن أبى طالب مرفوعًا أخرجه العسكرى ، وورد موقوفًا على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم فى الحلية، وله شاهد نحوه من حديث عمر ابن الخطاب أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثا، وهذا الحديث الذى نحن فى الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن، والله أعلم اهـ. قال مرتضى: والموقوف الذى أخرجه أبو نعيم فى الحلية رواه من طريق هشام بن عباد قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : «الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم .

فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعى: ما من شىء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا.

وقال رسول الله ﷺ: « **شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء** »(١٦٥).

وقال مكحول الدمشقى رحمه الله: من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقًا إليه وطمعًا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه. وقال سمنون: ما أسمج

---

(١٦٥) حديث: وقال ﷺ: « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » **قال العراقى**: لم أره بهذا اللفظ وروى ابن ماجه من رواية أبى معاذ البصرى عن محمد ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى أثناء حديث أوله: «تعوذوا بالله من جب الحزن» إلى أن قال: « وإن أبغض القراء إلى الله الذين يأتون الأمراء » وأول الحديث عند الترمذى دون هذه الزيادة إلا أنه قال: أبو معان بالنون وهو الصحيح، ثم قال: وروى أبو بكر أحمد بن على ابن لال الفقيه فى كتاب مكارم الأخلاق من رواية عصام بن داود العسقلانى عن بكير بن شهاب الدمغانى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رفعه: « إن أبغض الخلق إلى الله عز وجل العالم يزور العمال » اهـ.

قال مرتضى: وهكذا هو فى مسند الفردوس للديلمى وتاريخ قزوين للرافعى، وأخرجه أبو الفتيان الحافظ فى كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ « إن أهون الخلق على الله » وفى هذا المعنى قال حكيم من الحكماء، وسيأتى للمصنف أنه محمد بن مسلمة: الذباب على العذرة أحسن حالا من العالم على باب هؤلاء. وقالوا: نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير، وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان بن هشام: إن بنى إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة فى علمهم، فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم فى دنياهم وشركوا فى فتنتهم» أورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى حازم قال أيضًا بسنده إلى يوسف بن أسباط: أخبرنى مخبر أن بعض الأمراء. أرسل إلى أبى حازم فأتاه وعنده الأفريقى والزهرى وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم، فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، إذا بعث الأمراء إلى العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء فى بيوتهم فيسألونهم فكان فى ذلك صلاح للعلماء وصلاح للأمراء، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم، وأعطوهم فقبلوا منهم، فخربت العلماء على الأمراء وخربت الأمراء على العلماء.

بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافًا مع أنى لا آخذ منه شيئًا ولا أشرب شربة ماء، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ (قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه) قال: وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم، فقال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم، فقال:

يا بنىّ آتى جيفة قد أحاط بها قوم! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها، قالوا: يا أبانا إذًا نهلك هزالاً، قال: يا بنىّ لأن أموت مؤمنًا مهزولاً أحب إلىّ من أن أموت منافقًا سمينًا، قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان. وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد للإيمان.

وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة، لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئًا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقدوا، فإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا.

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن: « أما بعد. . فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى، فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكان أزهد أهل زمانه ؛ فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته، ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين.

ومنها ألا يكون مسارعًا إلى الفُتيا، بل يكون متوقفًا ومحترزًا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقًا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جَلِي أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدرى، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية، هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم، وفي الخبر: « **العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى** »(١٦٦)، وقال الشعبى: لا أدرى نصف العلم.

---

(١٦٦) حديث : « العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى » هكذا أورده صاحب القوت، **قال العراقى** : أخرجه الدارقطنى في غرائب مالك والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر موقوفًا عليه وقد رواه ابن عدى في الكامل في ترجمة أبى حذافة السهمى عن مالك ، قال: وهذا من منكرات أبى حذافة، سرقه من عمر ، **قال العراقى**: ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع وإنما قال: « وفي الخبر » والظاهر أنه أراد هذا فذكر به احتياطا لاحتمال أن يكون روى مرفوعًا . اهـ.

قال مرتضى : المصنف تبع في ذلك صاحب القوت فإنه هو الذى قال : « في الخبر » ثم إن الحديث المذكور رواه أيضًا الديلمى في الفردوس موقوفًا ، وكذلك أبو نعيم والطبرانى في الأوسط ، وقال الحافظ ابن حجر : والموقوف حسن الإسناد ، ثم **قال العراقى** : وأول الحديث مرفوع من حديث عبد الله بن عمر رواه أبو داود وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر ورفعه : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » اهـ. وسكت عليه ، وقد أخرجه أيضًا الحاكم في الرقاق وقد قال الذهبى في المهذب وتبعه الزركشى : فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف ، وقال في المنار : فيه أيضًا عبد الرحمن بن رافع التنوخى في أحاديثه مناكير ، قال=

ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجراً ممن نطق، لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس، فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف ﷺ، كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه. وقال ابن مسعود ﷺ: إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال: جُنة العلم لا أدرى، فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول: انظروا إلى هذا سكوته أشد علىَّ من كلامه. ووصف بعضهم الأبدال فقال: أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. أى لا يتكلمون حتى يُسألوا، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا، فإن اضطروا أجابوا، وكانوا يعدّون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام. ومر على وعبد الله ﷺ برجل يتكلم على الناس فقال: هذا يقول: اعرفونى. وقال بعضهم: إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه. وكان ابن عمر يقول: تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم. وقال أبو حفص النيسابورى: العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة: من أين أجبت. وكان إبراهيم التيمى إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول: لم تجدوا غيرى حتى احتجتم إلىَّ. وكان أبو العالية الرياحى وإبراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير، فإذا كثروا انصرفوا.

وقال ﷺ: « **ما أدرى أعُزَيرٌ نبىّ أم لا، وما أدرى أتُبَّعٌ ملعون أم لا، وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا** » (١٦٧).

= المناوى : وفى طريق ابن ماجه رشد بن سعد وهو ضعيف، ومن ثم قال ابن رجب : فيه ضعفاء مشهورون .

(١٦٧) حديث : « ما أدرى أعزير نبى أم لا ، وما أدرى أتبع ملعون أم لا ، وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا » أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه إلا أن فيه تقديم «تبع» على «عزير» ولم يذكر أبو داود الجملة الأخيرة ، إنما ذكرها الحاكم فقال: « وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا » ولم يذكر عزيراً ، وزاد : « وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا » وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ، نقله العراقى .
=

ولما سئل رسول الله ﷺ « عن خير البقاع فى الأرض وشرها، قال: « لا أدرى »، حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: « لا أدرى »، إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق » (١٦٨)، وكان ابن عمر رضي الله عنه يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن

= قال مرتضى : وبمثل رواية الحاكم رواه البيهقى وابن عساكر، وبمثل رواية أبى داود مع ذكر الجملة الأخيرة رواه ابن عساكر أيضًا كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه إلا أن فى روايتهم : «لعينًا كان أم لا » بدل « ملعون » وتبع الحميرى أوّل من كسا الكعبة ، وذو القرنين اختلف فى اسمه ، وأخبارهما مشهورة فى كتب السير والتواريخ .

(١٦٨) حديث : لما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها، فقال ﷺ : «لا أدرى» حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدرى، إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها السوق. ولفظ الحديث : « الأسواق » وإنما قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شرا منها ليبين أن الدينى يرفعه الأمر الدنيوى ، فكأنه قال: خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية ، فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل: أى البقاع خير؟ فأجاب به وبضده ، قال العراقى : وهذا الحديث رواه ابن عمر وجبير بن مطعم وأنس ، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد عن عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أن رجلا سأل النبى ﷺ : أى البقاع شر؟ قال : « لا أدرى حتى أسأل جبريل»، فسأل جبريل فقال : لا أدرى حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: خير البقاع المساجد وشرها الأسواق . وأما حديث جبير بن مطعم فرواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى من رواية زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أى البلدان شر؟ قال : « لا أدرى » ، فلما أتاه جبريل قال: يا جبريل أى البلدان شر»؟ ، قال: لا أدرى حتى أسأل ربى عزوجل ، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال : يا محمد إنك سألتنى أى البلدان شر فقلت : لا أدرى وإنى سألت ربى عز وجل أى البلدان شر فقال: أسواقها . لفظ أحمد، وقال أبو يعلى : « فلما جاءه جبريل » ولم يقل « أن يمكث» وقال البزار: « إن رجلا قال: يا رسول الله أى البلدان أحب إلى الله تعالى وأى البلدان أبغض إلى الله تعالى ؟ فقال : «لا أدرى حتى أسأل جبريل»، فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله عز وجل المساجد وأبغض البلاد إلى الله عز وجل الأسواق . ورواه الطبرانى أيضا من رواية قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل باللفظ الأول إلا أنه قال : «أى البلاد» فى المواضع الأربعة ولم يقل : « يا رسول الله » وقال « فلما أتى جبريل رسول الله ﷺ » ولم يقل : « يا جبريل » ولم يقل : « أن يمكث ». وأما حديث أنس فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمار بن عمارة الأزدى، قال : حدثنى محمد بن محمد بن عبد الله عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل « أى البقاع خير» ؟ قال : لا أدرى ، قال فسل عن ذلك ربك عز وجل ، قال: فبكى جبريل وقال: يا محمد ولنا أن نسأله هو الذى يخبرنا بما شاء ! فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال:=

واحدة ويسكت عن تسع، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة، وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر ممن يقول أدرى، منهم: سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحارث، وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يُسأل عن حديث أو فتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك. وفى لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردّها إلى الآخر، ويردها الآخر،إلى الآخر حتى تعود إلى الأول. وروى أن أصحاب الصُّفَّة أُهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول، فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبًا والمطلوب مهروبًا منه.

ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال: لا يفتى الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. وقال بعضهم: كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء: الإمامة، والوصية، والوديعة، والفُتيا. وقال بعضهم: كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علمًا، وأشدّهم دفعًا لها أورعهم. وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فى خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة: أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو ذكر الله تعالى**» (١٦٩).

= خير البقاع بيوت الله عز وجل فى الأرض قال: فأى البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق. وقد روى الحديث أيضًا عن أبى هريرة رواه مسلم فى صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله: لا أدرى.

(١٦٩) حديث: « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث: أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى » هكذا أورده صاحب القوت بلا سند. **وقال العراقى**: رواه الترمذى وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته فذكرته دون قوله: «ثلاث» وقال ابن ماجه: « إلا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» بالتعريف، قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس، **قال العراقى**: وهو ثقة وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات. =

وقال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء: ١١٤).

ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام، فقال: ما رأيت فيما كنت عليه من الفُتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه، وقال: ما وجدناه شيئًا وما حمدنا عاقبته. وقال ابن حصين: إن أحدهم ليفتى فى مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة. وفى الحديث: « **إذا رأيتم الرجل قد أُوتى صمتًا وزهدًا فاقتربوا منه فإنه يُلقن الحكمة** »[١٧٠] وقيل: العالم إما عالم عامة وهو المفتى، وهم أصحاب السلاطين، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون. وكان يقال: مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد. وكانوا يقولون: فلان عالم وفلان متكلم، وفلان أكثر كلامًا، وفلان أكثر عملا. وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام. وقيل: إذا كثر العلم قل الكلام، وإذا كثر الكلام قل العلم.

= **قال مرتضى**: وأخرجه ابن السنى والطبرانى فى الكبير، وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى فى الأمثال، والحاكم والبيهقى من هذا الطريق ولفظهم: « كلام ابن آدم كله عليه لا له ... ».

(١٧٠) حديث: وفى الخبر: « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتًا وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة» كذا فى نسخ الكتاب والرواية: «يلقى الحكمة» هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد.
وقال العراقى: رواه ابن ماجه من رواية أبى فروة عن أبى خلاد وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ: « قد أعطى زهدًا فى الدنيا وقلة منطق »، وأبو فروة تكلم فى سماعه عن أبى خلاد وأشار البخارى فى التاريخ الكبير فقال: أبو فروة عن ابن مريم عن أبى خلاد عن النبى ﷺ، قال: وهذا أصح.

قال مرتضى: وأخرجه كذلك أبو نعيم فى الحلية والبيهقى إلا أن فى رواية أبى نعيم: « إذا رأيتم العبد يعطى » والباقى مثل سياق ابن ماجه والمعنى: من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله، ومن كان هذا وصفه أصاب فى منطقه.

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء ﵄، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ: **«يا أخي بلغني أنك قعدت طبيبًا تداوي المرضى، فانظر إن كنت طبيبًا فتكلم فإن كلامك شفاء، وإن كنت متطببًا فالله الله لا تقتل مسلمًا. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل»**. (١٧١)

وكان أنس ﵄ إذا سُئل يقول: سلوا مولانا الحسن. وكان ابن عباس ﵄ إذا سئل يقول: سلوا حارثة بن زيد. وكان ابن عمر ﵄ يقول: سلوا سعيد بن المسيب. وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثًا فسئل عن تفسيرها فقال: ما عندي إلا ما رويت: فأخذ الحسن في تفسيرها حديثًا حديثًا، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه، فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به وقال: تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم!.

ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة

---

(١٧١) حديث: يا أخي بلغني أنك قعدت طبيبا تداوي المرضى، فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء، وإن كنت متطببًا فالله الله لا تقتل مسلمًا، فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل. هكذا أورده صاحب القوت وقال: كتب سلمان من المدائن إلى أبي الدرداء... إلخ. زاد: وسأله إنسان فأجابه ثم قال: رُدُّوه، فقال: أعد عليّ، فأعاد، فقال: متطبب والله. فرجع في جوابه، ثم قال صاحب القوت: ولعمري إنه قد جاء عن رسول الله ﷺ: « من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن ».

قال مرتضى: وهذا الذي ذكره المصنف تبعًا لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سلمان فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني مصعب بن عبد الله حدثني مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جُعلت طبيبا فإن كنت تبرئ فنعما لك، وإن كنت متطببا فاحذر أن تقتل إنسانا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله ارجعا إليّ، أعيدا قصتكما. رواه جرير عن يحيى بن سعيد عن عبد الله ابن ميسرة أن سلمان كتب إليه فذكره، ثم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله ابن أحمد حدثني أبي حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا السرى بن يحيى عن مالك ابن دينار أن سلمان كتب إلى أبي الدرداء: إنه بلغني أنك أجلست طبيبا تداوي الناس فانظر أن تقتل مسلما فتجب لك النار.

ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب، أما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب، ولذلك قال ﷺ: « **من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم** » (١٧٢) وفى بعض الكتب السالفة: يا بنى إسرائيل لا تقولوا: العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا فى تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به ؛ العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين، وتخلقوا إلىَّ بأخلاق الصدِّيقين أُظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم.

وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ولولا أن إدراك قلب مَن له قلب بالنور

(١٧٢) حديث : « من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه ، **قال العراقى :** وأورده صاحب القوت بلا سند إلا أنه قال : « بما يعلم » بدل « بما علم » وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أحمد بن أبى الحوارى بسنده إليه قال : التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى بمكة فقال أحمد : حدِّثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى، فقال: يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب ، فقال ابن حنبل : سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علمًا ، قال: فقام أحمد بن حنبل ثلاثًا وجلس ثلاثًا وقال : ما سمعت فى الإسلام حكاية أعجب من هذه إلىَّ ، ثم قال أحمد بن حنبل : حدثنى يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس رفعه : « من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » ، ثم قال لابن أبى الحوار صدقت يا أحمد وصدق شيخك، قال أبو نعيم : ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم فظن بعض الرواة أنه ذكره عن النبى ﷺ ، ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على ، رفعه : « من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى » .

الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك »
وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به..** »(١٧٣) الحديث. فكم من معانٍ دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه، وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل.

وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضي الله عنه فى حديث طويل : القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من

(١٧٣) حديث : « لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا... الحديث» أى إلى آخر الحديث وهو قوله : « يدًا ومؤيدًا » أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ فى الحلية من حديث أنس وإسناده ضعيف وأخرجه البخارى فى صحيحه وأبو نعيم فى أوّل الحلية وهو أوّل أحاديث الكتاب ، كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة : حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رفعه : « إن الله عز وجل قال : من عادى لى وليًا فقد آذننى بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه » قال الحافظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد الرازى عن ابن كرامة : هذا حديث غريب جداً ،لولا هيبة الجامع الصحيح لعدّ من منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك ، وليس بالحافظ : اهـ. وروى البيهقى فى الزهد من رواية ابن زجر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رفعه قال : « إن الله عزوجل يقول : ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به فإذا دعانى أجبته وإذا سألنى أعطيته وإذا استنصرنى نصرته ، وأحب ما يعبد به عبدى النصح لى » وفى الباب عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما، فحديث عائشة عند البزار وحديث ميمونة عند أبى يعلى .

المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق، والعلم دين يدان به، تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خُزّان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر، ثم تنفس الصعداء وقال: هاه إن ههنا علمًا جمًا لو وجدت له حملة، بل أجد طالبًا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقادًا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك، أو منهومًا باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات، أو مغرًى بجمع الأموال والادخار منقادًا لهواه، أقرب شبهًا بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهر مكشوفًا وإما خائف مقهور، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته، وكم وأين أولئك؟ هم الأقلون عددًا الأعظمون قدرًا، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها مَن وراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه، وأمناؤه وعماله فى أرضه، والدعاة إلى دينه، ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيرًا هو وصف علماء الآخرة، وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة.

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين.

قال رسول الله ﷺ : « **اليقين الإيمان كله** » (١٧٤) فلابد من تعلم علم اليقين، أعنى أوائله، ثم ينفتح للقلب طريقه.

---

(١٧٤) حديث : « اليقين الإيمان كله» **قال العراقى** : رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وأبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب قال : أخبرنا محمد ابن خالد المخزومى عن سفيان بن سعيد عن زبيد عن أبى وائل عن عبد الله عن النبى ﷺ وزادوا فى أوله « الصبر نصف الإيمان» هكذا قال أبو نعيم والبيهقى فى إسناده ، وقال اللالكائى عن زبيد عن مرة عن عبد الله ، قال البيهقى : تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد بن خالد ، وقد أعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية بهما فقال : محمد بن خالد مجروح ويعقوب بن حميد=

ولذلك قال ﷺ : « **تعلموا اليقين** » (١٧٥) ومعناه: جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل.

وقال ﷺ لما قيل له: رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين؟ فقال ﷺ : « **ما من آدمى إلا وله ذنوب، ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ؛ لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة** »(١٧٦).

= ليس بشىء ، **قال العراقى** : أما محمد بن خالد المخزومى فلم أجد أحدًا من الأئمة جرحه، وأما يعقوب فأورده ابن حبان فى الثقات ، ثم قال : والصحيح المعروف أن هذا من قول ابن مسعود، وهكذا ذكره البخارى فى صحيحه تعليقًا موقوفًا عليه ،ووصله الطبرانى والبيهقى فى الزهد من رواية الأعمش عن أبى ظبيان عن علقمة عن عبد الله قوله : قال البيهقى: هذا هو الصحيح موقوف اهـ. قال : المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل ، فكان الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار .

(١٧٥) حديث : « تعلموا اليقين » **قال العراقى** : الحديث رواه أبو نعيم عن ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل وهو مروى من قول خالد ابن معدان ورويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا من رواية بقية عن العباس بن الأخنس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال:« تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإنى أتعلمه» والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبى فى الميزان .

(١٧٦) حديث : « رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد . . . » **قال العراقى** : رواه الحكيم الترمذى فى الأصل السادس بعد المائتين من نوادر الأصول ، قال : حدثنا مهدى هو ابن عباس حدثنا الحسين هو ابن حازم عن منصور عن الرازى عن أنس قال : قيل: يا رسول الله ، رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب ؟ قال : « كل بنى آدم خطاء ، فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئًا » ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه ويبقى فضل يدخل به الجنة » وإسناده مجهول اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذى والدارمى والحاكم والبيهقى كلهم عن أنس رفعه : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » وهذا يصلح أن يكون شاهدًا لبعض الحديث المذكور ، وفى القوت : « جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال : أخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره، فقال معاذ : ليحبطن شكه أعماله ، قال : فأخبرنى عن رجل قليل العمل إلا أنه قوى اليقين=

ولذلك قال ﷺ : « **إن من أقل ما أوتيتم: اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار** » (١٧٧).

وفى وصية لقمان لابنه: يا بُنى لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه.

وقال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين. وأراد به اليقين. وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

فإن قلت: فما معنى اليقين، وما معنى قوته وضعفه؟ فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه، فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين: أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربعة مقامات:

= وهو فى ذلك كثير الذنوب، فسكت معاذ، وقال الرجل : والله لئن أحبط شك الأول أعمالَ بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها ، قال : فأخذ معاذ بيده وقام قائما ، ثم قال : ما رأيت الذى هو أفقه من هذا » اهـ. فهذا وإن كان موقوفًا على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف.

(١٧٧) حديث : « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلىّ من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكن أخاف أن تفتح عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ اهـ. **قال العراقى:** وروى ابن عبد البر فى كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال : « ما أنزل شىء أقل من اليقين ، ولا قسم شىء أقل من الحلم » ولا يصح إسناده ، وقد روى نحوه مختصرا من قول بعض الأشياخ ، رويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا قال : أخبرنا إبراهيم بن سعيد أخبرنا خالد ابن خراش أخبرنا بشير بن بكر عن أبى بكر بن أبى مريم عن الأشياخ قال : « ما نزل فى الأرض شىء أقل من اليقين، ولا قسم بين الناس أقل من الحلم » هذا حديث مقطوع ضعيف اهـ .





بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب